الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية – شعبة تاريخ

مقاومة قبائل الطوارق للاحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية خلال مطلع القرن العشرين

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: دراسات إفريقية

من إعداد الطالبتين:

❖ زهيرة حساين

❖ باية تومي

إشراف الأستاذ:

إبراهيم بتقة

السنة الجامعية: 1437- 1438ه/2016- 2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

الحمد و الشكر لله رب العلمين أولا و قبل كل شيء ، و بعد

يسعدنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ: "ابراهيم بتقة"

الذي كان لنا الشرف في إشرافه علينا في إنجاز هذا العمل ولم يبخل علينا بنصائحه القيمة و توجيهاته التي ساعدتنا في بحثنا ثم نلي بالشكر و العرفان لأستاذنا الكريم " نور الدين شعباني" الذي ساندنا و دعمنا طيلة مشوارنا الجامعي ووقف بجانبنا و لم يقصر في حقنا حيث نعتبره قدوة لنا في المستقبل نسأل الله له التوفيق و النجاح و كذلك نتقدم بالشكر لجميع الأساتذة في قسم التاريخ خاصة أساتذة تخصص دراسات إفريقية و إلى كل من ساعدنا على القيام بهذا البحث.

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك و لا تطيب اللحظات إلا بذكرك و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك ، إلى من بلغ الرسالة و أدى الأمانة إلى نبي الرحمة و نور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب و الحنان و بسمة الحياة و سر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي " أمي الحبيبة " ، و إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار ، إلى من احمل إسمه بكل إفتخار ،أرجو من الله أن يمد في عمرك والدي العزيز.

إلى رياحين حياتي إخوتي جميلة و زهيرة ، هشام و عبد القادر حفظهم الله و رعاهم

إلى زوجي عبد القادر الذي كان سندا و عونا لي ، و إلى كل عائلته الكريمة

و إلى نور عيني و سر وجودي إبنتي إسراء حفظها الله

إلى الأخت التي لم تلدها أمي صديقتي و حبيبتي زهيرة التي أنستني في الدراسة و شاركتني في إنجاز هذا العمل

و إلى صديقاتي لمياء ، أمال ،سمية ، سعيدة

و إلى كل طلبة دراسات إفريقية و كل الأساتذة

بايـة

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من قال فيهما الله عز و جل:

" وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا"

إلى التي وهبتني من شعلة روحها قبس الأمل الذي قادني إلى مصاف الناجحين، ومن الحب ما لم يعطيني أحد غيرها إليك أمي الحبيبة حفظك الله و أطال في عمرك.

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى من أغرقني في بحر فضله وجاد علي بكرمه أبي الغالي أطال الله في عمره.

إلى أعز ما أملك في الوجود إخوتي: حمزة و صبرينة.

كما أهدي هذا العمل إلى كافة الأهل و الأقارب، إلى زميلتي و أختي العزيزة باية التي تقاسمت معي أعباء انجاز بحثنا و إلى ابنتها اسراء حفظها الله، و إلى كل من وقف بجانبي و إلى من ساندني ووقف معي، إلى عبد الله و عائلته الكريمة.

و إلى كل من في الذاكرة و لم تسعهم المذكرة.

الملخص:

في خصم التنافس الاستعماري بين فرنسا وبريطانيا على زيادة كسب أراضي ومستعمرات جديدة في إفريقيا، اتجهت أنظار الفرنسيين إلى الجزائر حيث حاولت قواتها بسط نفوذها على كامل التراب الوطني، وبعد تثبيت الفرنسيين لوجودهم في شمال الجزائر سعت فرنسا إلى ربط مستعمراتها الإفريقية ببعضها البعض، وهو ما حتم عليها المرور بأراضي الطوارق في الجنوب الجزائري والسيطرة على كل الواحات الصحراوية من خلال تنظيم حملات وبعثات استكشافية التي تعرضت معظمها للهجوم من طرف سكان المنطقة، وكان أول احتكاك للطوارق مع الفرنسيين سنة 1881م بجملة من المعارك أهمها معركة بئر الغرامة التي قتل فيها الضابط الفرنسي "فلاترسFlatters"، الأمر الذي جعلهم يوقفون مشروع ربط المستعمرات لمدة 20 سنة لاحقة، لكن مع تزايد حمى التوسع والزحف المتواصل للجيش الفرنسي القوي، أجبر المجاهدون الطوارق على خوض مقاومات عنيفة أهمها: معركة تيت 1902م، ومعارك أخرى ما بين سنتي 1909م إلى غاية معركة الشيخ أمود بمنطقة أسكاو عام 1920م.

قائمة المختصرات:

تح : تحقيق.

تر : ترجمة.

ج : الجزء.

د.ط : دون طبعة.

د. س. ن: دون سنة نشر.

ص : صفحة.

ط : الطبعة.

ع : العدد.

Ed :Edition.
P : Page.
T : Tome.

مقـدمة

منذ أن امتدت يد القوات الفرنسية إلى الجزائر إعتقدت أنها قادرة على بسط نفوذها على كامل البلاد، والتوسع في الصحراء الجزائرية من أجل تحقيق هدفها الاستعماري وهو ربط مستعمراتها الإفريقية في غرب القارة ووسطها ثم شمالها، ولا يمكن لها ذلك إلا إذا احتلت منطقة الجنوب الجزائري، هذا الأخير الذي يعتبر حلقة وصل بين هذه المستعمرات، وقد استطاعت قوات الإحتلال الوصول إليها حيث تعرضوا إلى التصدي والمقاومة الشرسة من طرف سكانها، ومع ذلك فقد تمكنت الجيوش الفرنسية من بلوغ أقصى الجنوب والعزم على السيطرة عليه مهما كلفها ذلك.

ونظرا لما إكتشفته فرنسا من خيرات واسعة في الصحراء الجزائرية، دفعها ذلك إلى التقدم والتمسك بالإقليم أكثر فأكثر، ومن هنا أخذت فرنسا تعد المشاريع للكشف عن خبايا هذه المنطقة من أجل تسهيل سبل التوغل فيها، ولتنفيذ ذلك بدأت في إرسال العديد من البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية، وشملت هذه المشاريع جوانب عديدة منها الاقتصادية والعسكرية، السياسية والدينية لتكون بذلك عاملا مساعدا في ترسيخ فكرة الاستقرار والبقاء في المنطقة، وبه تصل فرنسا لهدفها الحقيقي وهو التوسع والتوغل في الصحراء الجزائرية وفرض هيمنتها عليها.

انطلاقا من هذا يعود اهتمامنا بالبحث في إشكالية الدور الذي لعبه قبائل الطوارق في مقاومة الاحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية في مطلع القرن 20م ويرجع أساسا إلى عدة عوامل يمكن إيجازها فيمايلي:

- الوقوف على السياسة الفرنسية المتبعة للسيطرة على الصحراء ومعرفة أهم المشاريع المنجزة لتحقيق أهدافها.

- إبراز الدور الهام الذي مثله الثوار الطوارق ضد القوات الفرنسية.

– المساهمة ولو بشكل بسيط في إثراء البحث العلمي التاريخي من خلال إضافة مجهود علمي لحقل الدراسات التاريخية.

أما إشكالية بحثنا فكانت كالتالي:

فيما تمثلت مواقف قبائل الطوارق من مشروع التوسع العسكري الفرنسي في منطقة الصحراء الجزائرية؟

وتتضمن هذه الإشكالية عددا من التساؤلات الفرعية التي يمكن حصرها فيما يلي:

– ماهي دوافع فرنسا لاحتلال الصحراء؟ وماهي السياسة المتبعة في المنطقة؟

– هل نجحت القوات الفرنسية في السيطرة على المنطقة؟

– ماهي أهم المشاريع المنجزة على أراضي الصحراء الجزائرية؟

– وما الدور الذي لعبته القبائل المتمردة في التصدي للزحف الفرنسي؟ وماذا أسفر عن هذه المقاومة؟

و قد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الخاص بالدراسات التاريخية وهو المنهج التاريخي الذي يقوم على سرد الأحداث ووصفها وتحليلها مع استخلاص النتائج.

وقد قسمنا بحثنا حسب ما تتطلبه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

قمنا في الفصل الأول من البحث والذي يعتبر كمدخل بتقديم إحاطة عامة حول إقليم الصحراء، فتناولنا الإطار الجغرافي وأهم تضاريس المنطقة والمناخ وأهم السكان التي تقطن هناك، وتعرضنا بعدها إلى أصل قبائل الطوارق من حيث موطنهم، نسبهم، تسميتهم، ولغتهم، والمظاهر الحضارية الخاصة بهم.

أما في الفصل الثاني الذي عنوانه توسع الإستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري، فقد ركزنا فيه على دوافع الإهتمام الفرنسي بالصحراء من الناحية الإقتصادية، السياسية والعسكرية والدينية، بالإضافة إلى عوامل السيطرة الفرنسية على المنطقة من خلال الحملات العسكرية والبعثات الإستكشافية، ثم تطرقنا إلى أهم المشاريع التي أنجزتها السلطة الفرنسية لتسهيل عملية السيطرة وهي المشاريع الخاصة بخطوط السكة الحديدية، كما قمنا بعرض أهم الحملات العسكرية التي أرسلتها فرنسا للمنطقة لإثبات قوتها أمام قبائل الطوارق نتيجة للهجومات التي تعرضت لها عقب مقتل الضابط فلاترس.

أما بالنسبة للفصل الثالث فجاء تحت عنوان، رد فعل قبائل الطوارق على التوغل الفرنسي في الصحراء، حيث عالجنا في هذا الفصل مقاومة قبائل الهقار والطاسلي ضد القوات الفرنسية وعزم الفرنسيين على التوغل، كما تناولنا ردود فعل الأهالي التي تمثلت في جملة من المعارك ونتائجها.

وفي الأخير خصصنا خاتمة والتي ضمت جملة من النتائج التي توصلنا إليها بعد دراسة الموضوع.

لقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على عدد لا بأس به من المصادر والمراجع، بالإضافة إلى بعض الرسائل الجامعية والمجالات والمقالات الإلكترونية، ومن أهم المصادر نذكر: عبد الرحمن ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم ذوي السلطان الأكبر، و كتاب الرحالة والمستكشف الفرنسي هنري ديفاريي المعنون بـ"طوارق الشمال"؛ Henri Duveyrier, Les Touaregs du Nord

وأهم المراجع منها:

- الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837- 1934) لإبراهيم مياسي.
- السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916) لأحميدة عميراوي و آخرون.
- الصحراء الكبرى و شواطئها لإسماعيل العرب.

ومن الطبيعي أن تكون هناك صعوبات في إنجاز أي بحث علمي، هذه الصعوبات إما أن تكون من جهة الباحث نفسه أو من طبيعة البحث فإعداد أي موضوع يتطلب جهدا وإتقانا كبيرين من قبل الباحث ليقدم في النهاية بحثا أكاديميا بالمواصفات المطلوبة ومنه فقد واجهتنا بعض الصعوبات وهي كالآتي:

- المجهود والوقت الكبيرين الذي استلزامهما البحث عن المصادر والمراجع التي تخدم موضوع بحثنا بشكل دقيق، مما جعل الوقت يضيع.
- صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع التي بإمكانها سد وتغطية الثغرات المطلوبة، وكذلك صعوبة التعامل مع المصادر والمراجع خاصة بالفرنسية والإنجليزية.
- إفتقارنا للخبرة اللازمة لإنجاز بحث علمي أكاديمي (مذكرة التخرج) فإعداد مذكرة تخرج أصعب بكثير من إعداد أي بحث آخر خلال الفترة التي درسنا فيها التخصص.

وفي الأخير نرجوا أن نكون من خلال بحثنا هذا، قد ساهمنا في فتح باب من أبواب المعرفة وأضفنا شيئا جديدا بالنسبة للمكتبة الجامعية، كما نأمل أن يكون هذا العمل ذا فائدة علينا، كما نتمنى أن نكون قد وقفنا في عملنا هذا حيث لقينا فيه كامل الدعم والمساندة من قبل الأستاذ المشرف"إبراهيم بتقة" الذي قام بتوجيهنا ودعمنا وإرشادنا، إذ نتقدم له بكامل الشكر والتقدير لمجهوداته، وختاما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع ويسد الخطى وهو نعم المولى ونعم النصير.

والحمد لله أولا وأخيرا.

الفصل الأول

قبائل الطوارق موطنهم ونمط عيشهم

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية و مميزاتها الطبيعية و البشرية.

المبحث الثاني: أصل قبائل الطوارق.

المبحث الثالث: المظاهر الحضارية لقبائل الطوارق.

سنحاول تقديم في هذا الفصل قدر الإمكان، أهم التفاصيل عن نمط حياة القبائل التي تقطن الصحراء الإفريقية الكبرى عامة والصحراء الجزائرية خاصة، و التي منها تلك القبائل التي تقطن منطقة الهقار وجبال الطاسيلي الواقعة في الجنوب الشرقي الجزائري، وهي قبائل عريقة ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ألاّ وهي القبائل الطارقية التي استطاعت أن تحافظ على تماسكها ونقاء عناصرها إلى اليوم، فماذا يمكننا القول بخصوصها؟ وقبل أن نتعرف على هذه القبائل لا بد أن نتعرف عن منطقة تواجدهم، وماهي أصولهم؟

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية وخصائصها الطبيعية والبشرية.

تعتبر الصحراء الكبرى بإفريقيا من أوسع صحاري العالم، فهي تمتد شرقا من البحر الأحمر حتى المحيط الأطلسي غربا، ويحدها من الشمال الجبال الأطلسية ومن الشمال الشرقي ساحل البحر الأبيض المتوسط، أما من الناحية الجنوبية فتحدها بلدان الساحل، وتغطي الصحراء الكبرى مساحة تقدر بثمانية ملاين كلم^2، تشترك فيها كل من المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا ومصر في الشمال وموريتانيا والصحراء الغربية من المغرب وفي الجنوب مالي والنيجر وتشاد والسودان[1].

لذلك الصحراء الجزائرية جزءا من الصحراء الكبرى الإفريقية، تقدر مساحتها بـ : 1 987 600 كلم^2 والتي تمثل 90% من مساحة الدولة الجزائرية[2]، و تتحدد معالمها بميزات طبيعية مختلفة عن تلك الموجودة في المناطق الشمالية يمكن أن تبين بعضها فيما يلي:

[1]– ابراهيم مياسي: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881 – 1912م)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 19.

[2]– أحميدة عميراوي وآخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844 – 1916م)**، دار الهدى، الجزائر، 2009 ص 10.

1- التضاريس:

يتميز سطح الصحراء ببيئة تضاريسية بسيطة، فهو غير معقد لكنه متنوع في أشكاله، وتنقسم الصحراء إلى قسمين رئيسين هما:القسم الشرقي والقسم الغربي فيتميز الأول بتعقيد تضاريس مقارنة بالقسم الغربي[1]، فالجزء الشرقي يتميز بانخفاضه على مستوى سطح البحر 31 متر ولهذه الأراضي أهمية اقتصادية لانتشار الواحات فيها، والمياه الجوفية وغيرها من الثروات[2].

السهول الرملية: التي تحتل مساحات واسعة من الصحراء ، وتتمثل في العرق الشرقي الكبير، والعرق الغربي الكبير[3]، إضافة إلى عروق أخرى كعرق شاش وعرق إيجيدي وعرق الراوي وغيرها، وكذلك في تضاريس الصحراء هناك مناطق أخرى واسعة تدعى الرق وهي صحراء حصوية تكاد تكون خالية من مظاهر الحياة مثل: رق تانزروفت[4].

الهضاب الصحراوية: وهي صحراء صخرية جيرية تمتد في شكل صفائح طبقية، ومن أهم هذه الحمادات في الجزائر، حمادة الذراع في الجنوب الغربي وحمادة القلاب بالحدود الجزائرية الموريتانية وهضبة تادميت شمال عين صالح[5].

وبالنسبة للمرتفعات فتتمركز معظمها في الوسط بالجنوب الشرقي ومن أشهرها: جبال الطاسلي والتي تعد من أهم سجلات التاريخ الإنساني في العالم ، بعدما تم العثور فيها على أقدم رسومات تصف الحياة البشرية ، ومنطقة الهقار معظمها من الصخور القديمة البركانية،

---

[1]- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954: **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، سلسلة الملتقيات**، الجزائر، 1996، ص 22.

[2]- أحميدة عميراوي وآخرون: مرجع سابق ، ص 10.

[3]- انظر الملحق رقم 01، ص81.

[4]- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837 – 1934م)**، دار الهومة، الجزائر، 2005 ، ص 13.

[5]- المركز الوطني للدراسات و البحث...: مرجع سابق، ص 25.

وأهم قمة جبلية بها هي " تاهات " التي تقارب ارتفاعها 3000 متر والتي تعتبر أعلى قمة بالجزائر[1].

أما مرتفعات إقليم الجنوب الغربي فتتمثل في ربوة القلاب غير المرتفعة وذات الصخور الصلبة، إضافة إلى بقايا سلاسل جبلية قديمة على جانبي وادي الساورة كسلسلة العبادلة وبشار،وأعلى ارتفاع بها يبلغ 1500 متر بجبل بشار[2].

2- المناخ:

لقد كان للوضع الجغرافي تأثيرا مباشرا على المناخ الصحراوي، حيث يسود في الصحراء الجزائرية مناخ قاري قاس، وقد ترتفع درجة الحرارة في فصل الصيف إلى ما فوق 50 درجة مئوية في الوقت الذي تصل في فصل الشتاء إلى درجة الصفر وهذا ما يجعل المدى الحراري بها كبيرا جدا، ويتعرض الإقليم إلى هبوب رياح جافة وفي بعض الأحيان عواصف هوجاء التي تعرقل نشاط التجارة، وتمتاز الصحراء الجزائرية بندرة كبيرة في التساقط وعدم الانتظام[3]، حيث لا يزيد متوسطها عن 200 ملم ، وترتفع الهوامش الشمالية وقمم المرتفعات ما بين 50 – 200 ملم وتتراجع ما دون 50 ملم في باقي المناطق،وتعود ظاهرة الجفاف في الصحراء إلى كونها تقع بالمنطقة المدارية التي تهب عليها الرياح القادمة من خط الاستواء، فهي منطقة ضغط مرتفع، ويعود نقص الأمطار للارتفاع الكبير في درجات الحرارة[4].

الأودية الصحراوية: والتي تنحدر من السفوح الجنوبية لسلسلة الأطلس الصحراوي وتصب في الشطوط وأحيانا تختفي في وسط الرمال، فهذه الأودية ليس لها جوانب مضبوطة

---

[1]- أحميدة عميراوي وآخرون: مرجع سابق، ص 11.

[2]- المركز الوطني للدراسات و البحث...: مرجع سابق، ص 22.

[3]- إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار...**، مرجع سابق، ص 21.

[4]- أحميدة عميراوي وآخرون: نفس المرجع ، ص 12.

ولا حدود معينة، فهي عديمة الانتظام وفجائية الفيضان، وتنقسم الأودية الصحراوية حسب مناطق منابعها إلى:

أ- أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي التي تسير على طول السفوح الجنوبية لجبال الأطلس وتغوص مياهها في الرمال لتعود في الظهور في شكل عيون فيضية أو آبار ارتوازية تقوم عليها واحات النخيل بالهوامش الشمالية للصحراء كإقليم ميزاب، ومن أهم هذه الأودية: وادي جدي، وادي الطويل ووادي الأبيض وكلها تصب في شط ملغيغ،[1] وفي الجهة الجنوبية الغربية نجد أودية أخرى مثل: وادي زرقون، وادي سوقر، وادي الناموس، ووادي الساورة[2].

وهناك قسم ثاني من الأودية الصحراوية والتي تنحدر من جبال الهقار وتظهر في شكل شبكة منحدرة في كل الاتجاهات، ومن أهمها وادي تمنراست، ووادي تافاست الذي يربط بين الهقار ودولة النيجر، ووادي جارات الذي يصرف السفوح الشمالية الغربية لجبال الهقار، وتتميز أودية الهقار بفياضانها خلال فترة الصيف[3].

لقد أثرت الظروف المناخية تأثيرا مباشرا على الحياة النباتية التي تتميز بتحملها للجفاف والحرارة والبرودة الشديدة في نفس الوقت، و يوجد بالصحراء الجزائرية حوالي 50 نوع من النباتات قصيرة وسميكة، ومن أهم أنواع النباتات الصحراوية نجد شجرة النخيل المنتجة للتمور التي تعتبر الغذاء الأساسي للسكان، إضافة إلى أنواع عديدة من الخضر والفواكه وبعض المحاصيل التجارية كالحنة والتبغ[4].

---

[1]- شط ملغيغ: هو منخفض واسع الأرجاء تحيط به الكثبان الرملية، تغمره المياه في فصل الشتاء وبه العديد من النباتات الصحراوية المتنوعة، انظر: أحميدة عميراوي و آخرون: مرجع سابق، ص 14.

[2]- نفسه.

[3]- المركز الوطني للدراسات و البحث...: مرجع سابق، ص 22.

[4]- إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار...**، مرجع سابق ، ص 21.

ورغم قلة وضآلة الغطاء النباتي في المنطقة إلاّ أن الظروف سمحت بنمو الثروة الحيوانية المتنوعة كالأفناك والغزلان، وذئاب الرمال، وأنواع الزواحف والسحالي والطيور، وأهم حيوان تشتهر به الصحراء هو الجمل الملقب بـ "سفينة الصحراء" الذي يستطيع تحمل عناء العطش والجوع وتقلبات الجو، إضافة إلى قطعان الماعز والأغنام[1].

3- السكان:

تتمركز في الصحراء الجزائرية أكثر من 10% من سكان البلاد وتوجد هذه الأقلية في الواحات، وتعيش نسبة كبيرة منهم حياة البداوة حيث يقدر عددهم حوالي 1,5 مليون نسمة[2]، ويرجع سبب ذلك للظروف الطبيعية الصعبة وندرة المياه التي منعنهم من ممارسة الزراعة والاستقرار، وينقسم السكان في المنطقة إلى صنفين هما: البدو و الحضر، فالبدو يقومون بالترحال في بداية الصيف إلى الشمال نحو الهضاب المرتفعة ثم يعودون في أواخر فصل الصيف، وتسمى هذه العملية بالهجرة الموسمية وتستمر طيلة السنة داخل الصحراء من قبل قبائل الطوارق والشعانبة وغيرهم من السكان، أما الحضر فهم يقطنون داخل القوى أو القصور التي تمثل الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي والسياسي وتعتبر هذه القصور مركز تجاري وزراعي في نفس الوقت[3].

وينقسم البدو إلى مجموعتين بارزتين: الأولى هي التي تعيش على زراعة الواحات والتي رضخت للسيطرة العربية، أما المجموعة الثانية فهي أكثر جرأة وأقدم وأكثر ميولا

---

[1]- إبراهيم مياسي: **توسع الإستعمار...**، مرجع سابق، ص 21.

[2]- صفاء عريق: **المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية (1954- 1962م)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة بسكرة، موسم 2013- 2014 ، ص 19.

[3]- ابراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق ، ص 16.

للحرب والقتال، فقد تمركزت في مناطق صعب الوصول إليها وتعرف بالطوارق[1].

ويرجع أصل هؤلاء السكان إلى أصول مختلفة من أمازيغ العرب والبربر بالإضافة إلى الزنوج، أما عن شكلهم فهم متشابهين مع بقية سكان القطر الجزائري، ومن الصعب التمييز بين هذه العناصر لكون امتزاجها مع بعضها البعض نتيجة تساكنها لمدة طويلة ولاعتناقها الدين الإسلامي. ورغم ذلك شكلت مجتمعا متجانس له عادات وتقاليد متشابهة إلى حد كبير من أشهر هذه القبائل التي استقرت في الجنوب الجزائري نذكر[2]:

الطوارق: تقطن هذه القبائل البربرية جبال الهقار فسميت بقبائل الهقار والتي عاصمتها مدينة تمنراست وأهمهم: كيل أغلا، تيطوق، كل أغري، تاغت ملّت ومعناها (أهل العنز البيضاء)[3]، وهم ينحدرون من أهل أمازيغي ويتكلمون اللهجة الأمازيغية القديمة ولهم ميزات وخصائص تميزهم عن باقي القبائل الصحراوية، وتتمركز هذه الفئة في المناطق الممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ويوجد فئة منهم تسكن في مناطق أخرى ، وتعيش قبائل الطوارق مثل جميع القبائل الرحل، معتمدون على تربية المواشي والرعي وهناك جزء منهم يعيش على الزراعة[4].

الشعانبة: هي قبيلة عربية كبيرة من بني سليم أتو إلى شمال افريقيا في أوائل القرن الرابع عشر ميلادي، استقروا في منطقة متليلي بالقرب من غرداية عاصمة وادي ميزاب، وبعد الغزو الفرنسي في الصحراء اضطر الشعانبة إلى الهجرة نحو الجنوب، مما أدى إلى

---

[1]– أحسن دواس : **صورة المجتمع الصحراوي الجزائري في القرن 19 من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين**، مقاربة سسيو ثقافية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارن،جامعة قسنطينة، موسم 2007 – 2008، ص 15.

[2]– هيئة التحرير:"**الصحراء الكبرى**"، جريدة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، ع 13، 21-01- 1959، ص 12.

[3]– محمد سعيد القشاط: **صحراء العرب الكبرى**، دار الرواد، ليبيا، 1994، ط1، ص 11.

[4]– اسماعيل العربي: **الصحراء** الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص ص 175- 176.

تشتت قبائلهم ليستقر بهم الحال في النصف الشمالي الغربي من الصحراء الكبرى[1]، والشعانبة هم من قبيلة قوية وكثيرة العدد، ساهمت في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في بداية توغله للجزائر مع ثورة أولاد سيدي الشيخ، وثورة بوعمامة، ومعظم هذه القبائل تستقر في جنوب الجزائر وتوجد مجموعات أخرى منها في صحراء مالي والنيجر وبعض الأسر في منطقة غدامس ودرج وأوباري وغات بليبيا، كما أنهم كانوا يسيطرون على تجارة القوافل ولكنهم تحولوا عنها بعد أن سيطرت فرنسا على المنطقة، إضافة إلى ذلك كانوا يمارسون الرعي وتربية الحيوانات[2].

ومن بين القبائل التي تمركزت في الصحراء الجزائرية قبيلة أولاد سيدي الشيخ الذين يقطنون في المنطقة الموجودة بين الفقيق وكلومب بشار، إلى غاية غربي الأغواط[3]. وينحدر أصل هذه القبيلة من أسرة الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) التي سكنت مكة المكرمة، ثم هاجرت إلى مصر، ثم إلى تونس، ومع مطلع القرن 15 انتقلت نحو الغرب[4]، وشاركت في مقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، وسميت ثورتهم بسيدي الشيخ التي استمرت طيلة السبعينات[5]، اضافة الى ذلك يوجد قبيلة أولاد نايل التي تعد من بين أكبر القبائل التي استقرت في الصحراء، ويتمركزون في المنطقة الممتدة بين مدينتي بسكرة والجلفة[6].

الميزابيون: يرجع أصل هذه القبيلة إلى قبائل زناتة الأمازيغية من بني مصعب، وهم من أتباع المذهب الإباضي وينتشرون في المدن التالية: غرداية، بنورة العطف، بريان، مليكة، بن يزقن، القرارة، قدموا إلى الصحراء بعد سقوط الدولة الرستمية علي يد الفاطميين،

---

[1]– إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى**...، مرجع سابق ص 163.

[2]– نفسه، ص ص 165–167

[3]– المجاهد: مصدر سابق، ص 12.

[4]– إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي**...، مرجع سابق ، ص16.

[5]– نفسه، ص ص 34– 35.

[6]– المجاهد: نفس المصدر، ص 12.

ونتيجة زوال دولة بني مدرار سنة 1366م، كما استقر عدد من بني ميزاب بالقرب من مدينتي واد ريغ، وتيميمون[1].

المبحث الثاني: أصل قبائل الطوارق.

1 – موطنهم ونسبهم:

موطنهم: يشتغل قبائل الطوارق مساحة واسعة في الصحراء الكبرى، التي تمتد ما بين حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية مع موريتانيا، إلى حدود السودان مرورا بشمال مالي وشمال تشاد، وجنوب غربي ليبيا، وجنوب شرقي الجزائر، كما تتركز هذه القبائل في بعض المناطق شمال بوركينافاسو ونيجيريا، وحتى في وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس[2]، ودرج في ليبيا وأوباري[3] وغات التي تقع في جنوب غرب ليبيا وهي عاصمة أزجر الطارقية[4]، وهم عدة مجموعات من العشائر يضاف إلى اسم المكان التي تعيش فيه المجموعة كلمة (كل) أي أهل أو قوم، ويشكل هؤلاء القبائل مجموعتين رئيسيتين: المجموعة الشمالية والمجموعة الجنوبية، فالأولى تعيش في الصحراء، والثانية تقطن في الهضاب وأرض السافانا[5].

استوطنت هذه القبائل الصحراء منذ عهد قديم الفاصلة بين الشمال الإفريقي، وبلاد السودان، ويذكر معظم المؤرخين العرب أن جذورهم تعود إلى هجرات قديمة من المشرق،

---

[1]– صفاء عريق: مرجع سابق، ص22.

[2]– غدامس: تقع في الجنوب الغربي من ليبيا وعلى الطرف الغربي للحمادة الحمراء، كانت تعرف منذ القديم بسيداموس، فيها عين الفرس التي قيل أنها تبعث من تحت حافز فرس الفاتح العربي الشهير عقبة بن نافع، انظر: محمد سعيد القشاط: مرجع سابق ، ص 29.

[3]– أوباري: واحة كبيرة تقع جنوبي ليبيا، مدينة في وادي الحياة، ازدهرت أخيرا بالزراعة و أصبحت المزارع على طول الوادي ثلاث مئة كيلومتر متشابكة و غير منقطعة، انظر: نفس المرجع ،ص 39.

[4]- نفسه، ص 29 .

[5]– محمود شاكر: **مالي**، المكتب الاسلامي، بيروت، ص 69.

كانوا يسكنون بفلسطين وهاجروا بعد مقتل ملكهم جالوت بيد النبي داوود عليه السّلام ويقول الباحث الجزائري ابن بيلا نقلا عن التنبكتي أن: " كتب التاريخ القديمة مثل بطليموس وهيرودوت أكدوا بأن قبائل الطوارق هاجرت قديما من الشرق، وقد عرفوا في هذه الكتابات باسم الليبيين أو الليبو، وهو الاسم الذي أطلقه المصريون القدماء على جيرانهم من سكان شمال افريقيا، وكما سماهم الرومان واليونان بالبربر وتعني الهمج"[1].

وفي هذا يذكر ابن خلدون أن افريقش بن قيس بن صيفي[2]: " لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافهما وتنوعها تعجب من ذلك، وقال ما أكثر بربرتكم فسموا بالبربر، والبربر بلسان العرب هي اختلاط الأصوات الغير المفهومة "[3]، ويذكر ابن خلدون أيضا عن شعب صنهاجة: " وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جيل أو بسيط"[4].

وينقسم هؤلاء القبائل إلى طبقتين عظيمتين: صنهاجة الشمال الذين يقطنون التلال والجبال وأشهر قبائلهم بلكانة، وبيوتهم مصنوعة من الطين والحجر، وصنهاجة الجنوب وهم سكان الصحراء، وأهم قبائلهم هي لمتونة، ومسوفة، وكدالة، وتنحدر مواطنهم جنوب المفازة الصحراوية الكبرى وحتى بلاد السودان، وهم من أهل الوبر[5].

وثمة نص آخر لابن خلدون يصفهم ويصف أوطانهم بقوله: " وهذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، أبعدوا في

---

[1]– التينبكتي: **الطوارق عائدون للنثور**، منشورات منظمة تامينوت، د.س.ن، ص ص 16–17.

[2]- افريقش بن قيس بن صيفي: من ملوك التبابعة لما غزا المغرب و افريقية و قتل جرجيس و بنى المدن و الأمصار، وباسمه زعموا سميت بافريقية ، انظر : عبد الرحمن ابن خلدون: **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر و من عاصرهم ذوي السلطان الأكبر**، 7 اجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006، ج6، ط3، ص 104.

[3]– نفسه.

[4]– نفسه، ص 179.

[5]– بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2010، ج2، ص 127.

المجالات هنالك منذ دهور قبل الفتح لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف ووجدوا بها المراد وهاجروا التلول وجوفها، واعتاضوا منها بألبان الأنعام ولحومها انتباذا عن العمران واستئناسا بالانفراد وتوحشا بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا بين بلاد البربر وبلاد السودان حجز اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، وعفوا في تلك البلاد وكثروا، وتعددت قبائلهم من كدالة لمتونة، فمسوفة، فوتريكة، فناوكا، فزغاوة ثم لمطة إخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبلة طرابلس وبرقة[1].

نسبهم: يتفق جميع علماء النسب على أن هذا الجيل من البربر يجمعهم فرعان عظيمان وهما برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر، فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس وهما معا ابنا بر[2].

وكلمة بربر مشتقة من اسم انسان، اعتقدوا أنه جد هذا الشعب، والبعض الآخر رأى في كلمة بربر ما يدل على اللفظ والرطانة أثناء الكلام، وربما قال هذا الرأي الذين كانوا مطلعين على التراث اليوناني، لأن اليونان منحوا المفهوم نفسه لكلمة بربر، ولكن الاخباريين نسجوا أخبارا وقصصا حاولوا من خلال تفسير أسباب تلك المسميات عن الشعب، الذي سموا أعضاء بربرا[3].

وقيل بعضهم أنهم أبناء بر بن قيس بن عيلان[4]، ولدعم أقوالهم وافتراضاتهم وضعوا بعض الأساطير والأشعار، وزعموا أن جد البربر المدعو بر أقدم إلى بلاد المغرب هاربا من أخيه عمرو بن قيس، ولما طال غيابه بكته شقيقته تماضر بقولها[5]:

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ص 214.

[2]– نفسه، ص 105.

[3]– بوزياني الدراجي: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج1، ص 20.

[4]– عبد الرحمن ابن خلدون: نفس المصدر، ص 110.

[5]– بوزياني الدراجي: نفس المرجع، ج1، ص 21.

لتبكي كلّ باكية أخاهـــــــا كما أبكي على برّ بن قيس

تحمل عن عشيرة فأضحـــى و دون لقائه أنضاء عيس[1]

وقيل أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين الذين هاجروا إلى افريقيا حين طردهم الآشوريين، في حين يزعم آخرون أن أصلهم يعود إلى السبئين[2] أي الحميريين الذين كانوا يعيشون في اليمن قبل أن يطردهم الآشوريين أو الأثيوبيين منها[3]،حيث استدعى الملك النعمان بن حمير بن سبأ أبناءه وقال لهم: إني عزمت على إرسالكم إلى بلاد المغرب لتعمروها، وتوجهوا إلى المقام الذي اختاره أبوهم، وهؤلاء الأبناء هم: لمت (أبو لمتونة)، ومسفو (أبو مسوفة)، ومرطا (أبو هكسورة)، وأصناك (أبو صنهاجة)، ولمط (أبو لمطة) ... الخ، فنزل هؤلاء الإخوة في المغرب فمنهم من سكن جبل حزن ومنهم من استقر بسوس وطنجة، ومنهم من مكث في درعة، والبعض منهم توقفت رحلتهم في افريقية والمغرب الأوسط، وكان هدف أبوهم من ذلك هو تعمير بلاد المغرب الذي بدت له بأنها فارغة من السكان، فعمرها النعمان بفلذات كبده[4].

وقال آخرون أنهم أخلاط من كنعان والعماليق، فلما قتل جالوت تفرقوا في البلاد وغزا إفريقش المغرب، ونقلهم إلى سواحل الشام وأسكنهم افريقية وسماهم بربر، وقيل هم من ولد بربر بن كسلوجيم بن مصرائيم بن حام، وقيل البربر قبائل شتى من حمير، ومصر والقبط، والعمالقة، وكنعان، وقريش، التقوا بالشام اختلطت لهجاتهم فسماهم افريقش البربر لكثرة كلامهم، ويقول ابن خلدون أن سبب خروجهم عند كل من المسعودي والطبري بو السهيلي:

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ص 110.

[2]– السبئين: في القرآن الكريم هم رعايا بلقيس ملكة سبأ اليمنية التي جاءت إلى سليمان(الأية 22 من سورة النمل، و15 من سورة سبأ)، انظر: حسن الوزان: **وصف افريقيا**، تر: محمد الحجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ج1، ط2، ص 35.

[3]– نفسه.

[4]– بوزياني الدراجي: مرجع سابق، ج1، ص ص 22 – 23.

أن افريقش استجاشهم لفتح افريقية وسماهم البربر[1]،بينما يدعي فريق آخر أنهم كانوا يسكنون بعض جهات آسيا، فحاربتهم شعوب معادية لهم وألجأتهم إلى الفرار إلى بلاد الإغريق ثم تبعهم أعدائهم إليها، فاضطروا إلى عبور بحر المورة واستقروا بإفريقيا[2].

أما الطوارق في الصحراء فهم ينسبون أنفسهم إلى العرب ويقولون إنهم من حمير جاءوا إلى منطقة الشمال الإفريقي لظروف معينة، فهناك من يصل نسبة بقريش أو برسول الله صلى الله عليه وسلم أو بأبي بكر الصديق، أو بعمر بن الخطاب، وبعضهم يرى أنه من سلالة عقبة بن نافع أو بعض الفاتحين المسلمين لشمال افريقيا[3].

تولى ابن خلدون الرد على تلك المزاعم مفندا إياها واحدة فواحدة، ولم يرجع أي رأي منهم وذلك بقوله مستطردا[4] : " والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، كما تقدّم في أنساب الخليفة، وأن اسم أبيهم مازيغ واخوتهم أركيش، وفلسطين اخوانهم بنو كسلوجيم بن مصراييم بن حام، وملكهم جالوت سمة معروفة له، وكانت بين فلسطين هؤلاء بين اسرائيل بالشام حروب مذكورة، وكان بنو كنعان وواكريكش شيعا لفلسطين فلا يقعن في وهمك غير هذا فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه[5]، وانطلاقا من كل ما سبق ذكره عن أصل الطوارق نقف على أنهم ينتسبون إلى صنهاجة، وصنهاجة يرفعون نسبهم إلى حمير"[6].

---

[1]– عبد الرحمن ابن خلدون: مصدر سابق، ص 109.

[2]– حسن الوزان: مصدر سابق، ص 35.

[3]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء،1998 ، ط2، ص 23.

[4]– بوزياني الدراجي: مرجع سابق، ج1، ص ص 27 – 30.

[5]– عبد الرحمن ابن خلدون: نفس المصدر، ص 113.

[6]– عبد الرحمن السعدي: **تاريخ السودان**، تح: هوداس، المدرسة الباريسية للألسنة الشرقية، باريس، 1981، ص 25.

2- تسميتهم بالطوارق وسر اللثام:

اختلف المؤرخون حول تسمية الطوارق، فمنهم من قال أن سبب تسميتهم بالطوارق نسبة إلى طروقهم في الصحراء وتوغلهم فيها، وقيل أنهم تركوا طريق الهداية، في حين هناك من قال أن سبب التسمية هو انتسابهم إلى طارق بن زياد[1]،ويعتقد البعض أن هذا الاسم مشتق من الوادي الذي كان يسكن فيه أجدادهم من قبائل الملثمين، وادي درعة الواقع جنوب مراكش والذي يسمى بالطارقية (تارجا) وجمعها توارك، وأخذت هذه الكلمة من الكتابات الأوروبية التي نقلتها المراجع العربية في غرب افريقيا، فكتبت على شكلها الطوارق بإبدال التاء طاء[2].

والطوارق يطلقون على أنفسهم اهل تارجا Kel Terga ويرد مصطلح تارجا Targa [3] هذا عند حسن الوزان عندما كتب فيما يتعلق بالصحراء: " لم نطلق أي اسم على هذه الفلوات غير أننا نقسمها خمسة أقسام، تحمل أسماء من يسكنها من زناكة، و ونزيكة و تاركة، و لمطة ، و برودة[4].

أما قبائل الطوارق تسمي نفسها إمازغن، أما في المناطق الأخرى كغدامس، مرزق غات، تمنراست، يطلق الطوارق على أنفسهم باسم إيموها Imohar وأصلها إيموزاغ جمع أمازيغ، أما في كيدال و أزواغ الغربي منحنى نهر النيجر يقولون إيموشار Imochar، وفي آيير و أزواغ الأوسط والشرقي يقولون إيماجيرن Imajeurn، وهناك من يقول أن هذا

---

[1]- عبد الرحمن السعدي: مصدر سابق، ص 27.

[2]- يوسف عبد الرحمن: **الطوارق الملثمون الزرق**، جريدة الأنباء، ع 14736،20-02-2017. منقول من موقع: www.alanba.com

[3]- تارجا Targa : هي الصحراء بلفظ البربرية، وتارجا هي نفسها لمتة Lemta الذين هم الصحراء الطرابلسية، انظر: ابراهيم بتقة: قبائل **الطوارق- تاريخ...و حلقات مضيئة**، مرايا للنشر و التوزيع،2011 ، ص 35.نقلا عن Charles de faucould (le père): **Dictionnaire Touaregs- français. Dialecte de l'Ahaggar**. Tome ll, lmpremerie Nationale de France, 1952, p543.

[4]- حسن الوزان: مصدر سابق، ص 32.

الشعب يطلق على نفسه اسم كل تما جق Kel Tamajiq، كما ينطقونه في ليبيا والجزائر، ويظهر الاختلاف في نطق الحرف الأخير في هذه الكلمة وهذه الكلمة تتكون من جزء بين كل أي أهل، أصحاب تما جق وتعني اللغة الطارقية[1].

سر اللثام: عرفت هذه القبائل باسم الملثمين لاتخاذهم اللثام شعارا لهم[2]، وهو ما يميزهم عن باقي القبائل الصحراوية الأخرى ولثامهم يلبس في كل الأوقات سواء كان الجو حار أو معتدل أو بارد، في الليل والنهار، أثناء العمل أو الراحة[3]، وهم يتخذون اللثام منذ طفولتهم توارثه الأبناء عن الآباء، ويعتقدون أن ظهور الفم عورة يجب اخفاءها، لا يعرفون بعضهم البعض إلاّ بهذا اللثام، وقيل على أنه نوع من السحر[4]، وأصبح عادة لرجالهم في ستر الوجه، وترك العيون فقط مكشوفة، ومن المحتمل أن اللثام قد أدخل استعماله عام 1600م[5]، ويسمى اللثام عند الطوارق بالثاجلموست، وهو عبارة عن قطعة من القماش الأزرق اللامع عند النبلاء، والأبيض عند الأتباع[6]،وقيل أن سبب استخدامه لشدة الحياء الذي اتصف به الملثمون، إضافة إلى ظروف المناخ الصحراوي الجاف في الصيف والقارص في الشتاء، هو الذي فرض وضعه على القبائل[7].

---

[1]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق ، ص 28.

[2]– عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقية (1038–1121م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988، ط1، ص29.

[3]– عبد الجليل ملاخ: " قبائل الملثمين الصحراوية ودورها في التمهيد لقيام الدولة المرابطية"، **مجلة الواحات للبحوث والدراسات**، ع 15، 2011، ص 78.

[4]– عصمت عبد اللطيف دندش: نفس المرجع، ص 29– 30.

[5]– بوفيل: **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988، ص 100.

[6]– محمد علي الخطيب: " بدو الطوارق"، دراسة أنثروبولوجيا"، **مجلة الدراسات والبحوث**، ع 626، 2015، ص 154.

[7]– محمد خليفة حامد: **يوسف بن تاشفين موحد المغرب و قائد المرابطين و منقذ الأندلس من الصلبيين (1009–1106م)**، دار القلم دمشق، 2003، ط1، ص ص 22– 23.

3- لغتهم وكتاباتهم:

يتكلم الطوارق بلغة تامشاغ Tamachaq، وهي من أصل أمازيغي، وقيل أنها مشتقة من اللغات السامية القديمة، وأن لها أصالتها الخاصة، ابتكرها الأجناس البدائية التي سكنت الشمال الإفريقي كوسيلة التعبير الأولية منذ آلاف السنين[1]،ويذهب البعض إلى أن اللغة البربرية هي اللغة السامية التي تعتبر العربية فرعا منها، حيث نجد في البربرية الحروف الحلقية والعبارات الجزلة، كما نجدها في اللغات السامية، وأن هذه اللغة في استعمالها الحالي هي امتداد لصيغ اللغة العربية، في حين يرى بعض المؤرخين اللغويين البربرية إلى أصول فينيقية، وتعني كلمة التيفيناغ بالطارقية الحروف التي تنسب للفنيقيين[2]،وفي لغة الطوارق نجد الكثير من الكلمات العربية الفصحى، وكمثال على ذلك: فالطارقي إذا قال اجلس قال: أقيم وهي كلمة عربية من الإقامة[3]، وكذلك يقول الطوارق لمحطة القوافل مرزق، وهي عربية ومعناها المكان الذي يأتيه الرزق، وهذا يوضح أن اللغة البربرية ماهي إلاّ إحدى اللهجات العربية القديمة التي تفرعت عن اللغة العربية الأم، والتيفيناغ Tifinagh هي عبارة عن الحروف التي يكتب بها الطوارق لغتهم[4].

ولهذا الخط ضوابط يسمونها تيدباكين[5]، ويمكن كتابته من اليمين إلى اليسار أو العكس، ومن الأعلى إلى الأسفل، وهذه الحروف هي أشبه بالعلامات الهندسية دوائر ومربعات ونقط وشرط، ومثلثات تنقش على الحجارة والجلود والخشب، ونجد هذه الكتابات في

---

[1]- التينبكتي: مرجع سابق، ص 23.

[2]- الفينيقيين: هم شاميون من العرب نزحوا إلى شمال افريقيا، انظر: محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب...**، مرجع سابق، ص 31.

[3]- نفسه، ص ص 30 – 31.

[4]- نفسه، ص ص 32 –33.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي: هؤلاء التوارك الملثمين، **مجلة الأصالة**، ع 72، 1971، ص 28.

جبال الأكاكوس، وطاسيلي، والهقار، وجبال الآيير[1].

المبحث الثالث: المظاهر الحضارية عند قبائل الطوارق.

1- نظام الحكم الخاص بهم:

لم يكن لدى الطوارق نظام سياسي عبر التاريخ، ولم تقم لهم أية دولة متعارف عليها كباقي الدول، لكن خلال الفترة ما بين القرن العاشر والقرن الخامس عشر، قامت دولة الملثمين أي المرابطين، وكان الطوارق في الصحراء كونوا نظاما سياسيا يسيرون عليه، وحافظوا عليه عبر التاريخ، وهذا النظام الذي سمو مناطقهم عليه عرف بالسلطنات يرأسها سلطان يختارونه ويكون بينهم، وتنقسم منطقة الطوارق[2] إلى سبع سلطنات وهي كالتالي[3]:

سلطنة آزجر Azger: التي تقع في سهول ووديان وواحات جبال الطاسيلي، وغدامس، وإليزي، ومركزها غات بالجنوب الغربي بليبيا، وتتكون هذه السلطنة من عدّة قبائل وهذه القبائل ليست لها أراض محددة بل هي متداخلة فيما بينها مع قبائل عربية أخرى في المنطقة[4].

سلطنة الهقار Ahagar: تتوسط هذه السلطنة بين جبال الهقار على الحدود مع مالي والنيجر، وتتخذ من مدينة تمنراست في الجنوب الشرقي الجزائري عاصمة لها، وتتكون سلطنة الهقار من أربع قبائل: كل أغلا، كل تيطوق، كل اغري، تاغلت ملّت[5].

---

[1]- التينبكتي: مرجع سابق، ص 23.

[2]- انظر الملحق رقم 02، ص 82.

[3]- محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 39.

[4]- نفسه، ص ص 39 – 40.

[5]- نفسه، ص 40.

سلطنة إيو الليمدن كل أطرام Ouillimiden Kel Atram: إيو الليمدن وتعني أهل الغرب، وتشمل مناطق من النيجر وموريتانيا، وتمتد إلى سلطنة الهقار وإلى بلاد المالنكي التي تسكنها قبائل الزنوج البامبارا وتتكون هذه السلطنة من واحد وعشرون قبيلة[1].

سلطنة تقريقريت Tekrikrit: ومعناها الوسطى وهي تتوسط بلاد الطوارق، لأنها تقع في الوسط بين السلطنات يحدها من الشمال سلطنة الهقار، وجنوبا سلطنة كل أقرس، ومن الغرب سلطنة إيو الليمدن كل أطرام، ومن الشرق سلطنة تمزقدا و آيير، وتتكون هذه السلطنة من خمسة وعشرون قبيلة، ومركزها في شمال النيجر مدينة طاوه[2].

سلطنة آيير Ayir: سميت بهذا الاسم نسبة إلى جبال آهيير التي يقطنها رعايا السلطنة وتشترك في حدودها مع سلطنة آزجر والهقار وتمزقداو الليمدن، وتتكون سلطنة الآيير من سكان مدينة أغداس Agadaz[3]، وتنتسب أسرة السلطنة إلى أصول عثمانية تركية، مما جعل سلاطينها يدعون نسبهم إلى الأتراك، وتتفرغ هذه السلطنة إلى اثني عشر قبيلة[4].

سلطنة تمزقدا Tamezkada: وهي أقوى السلطنات الطارقية، لكونها تحتل أراضي خصبة تنزل بها الأمطار وتتحكم في طرق القوافل القادمة من وإلى ليبيا وبلاد الهوسا، وكذلك مصر، وتتكون هذه القبيلة من أربع عشرة قبيلة وتقع بين سلطنة الآيير ومملكة كتسنا

---

[1]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص ص 40 – 41.

[2]– نفسه، ص ص 42 – 43.

[3]– أغداس Agadaz : مدينة مدن جمهورية النيجر جنوب غرب جبال باجزان بغرب افريقيا، تقع على الطريق البري الواصل إلى العاصمة نيمامي، والتي تبعد عنها حوالي 1000كلم، دخلها الإسلام في ق 11م، وهي مدينة من المدن التجارية المعروفة بتجارة الفول السوداني والحبوب، انظر :عبد الحكيم العفيفي: **الموسوعة 1000 مدينة إسلامية**، مكتبة الأسكندرية، بيروت، 2000، ط1، ص 29.

[4]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، نفس المرجع ، ص ص 43 – 44.

الهوساوية وسلطنة تقريقريت، ومملكة بورنو[1].

سلطنة كل أقرس Kel Akres: هي أقصى سلطنات الطوارق في الجنوب، تحاذي الهوسا وتتكون من خمسة قبائل تحتل هذه السلطنة منطقة آضر، ومعناها الوادي الصغير في لغة الطوارق[2]، ويتألف نظام الحكم في السلطنات الطارقية إلى ثلاث هياكل: الأمينوكال[3] أي السلطان، شيخ القبيلة ويسمى أمغار، والإمام:

السلطان: يترأس هذا المنصب شيخ أقوى قبيلة من القبائل التي تشكل الاتحاد أو السلطنة، ويسمى السلطان الأمينوكال، ويتوارث الحكم بعد السلطان ابن أخته، لأن الطوارق يعتقدون أن ابن الأخت يجري في عروقه الدم النقي لسلالة السلطان أكثر من الأبناء أو الإخوة[4].

وينصب الأمينوكال من قبل لاماني وهو مجلس الأتابال أي رؤساء المجموعات القبائل ويعزل من قبلهم، وهو الذي يتولى السلطات السياسية والعسكرية، ويساعده في ذلك مجموعة من القانونيين وحكماء وعلماء، يقومون بوظائف المستشارين والقضاة وأئمة المساجد، والبعثات والسفراء، أما في الجانب السياسي والعسكري يساعده في ذلك أمغار أنغمان ومعناه القائد العسكري وهو الذي يقوم بتدريب الشباب على الأسلحة المختلفة[5].

ويعتمد الأمينوكال على الطبل لإسماع أوامره لمرؤوسيه في مختلف القبائل الذي يعد رمز السيادة عند الطوارق، ونظرا لأهميته حددوا له وظائف وقوانين يمكن لأي شخص منهم

---

[1]– نفسه، ص 45.

[2]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق** عرب الصحراء...، مرجع سابق، ص 46.

[3]– الأمينوكال: هو الحاكم الأعلى في الكونفدرالية كال تاماشاغ ويختار الأمينكول من نفس القبيلة، وفي هذه القبيلة عائلة أو اثنين لهما نفس العرق، انظر: ابراهيم بتقة، مرجع سابق، ص 110.

[4]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، نفس المرجع، ص 49.

[5]– دحو العربي: **الطوارق، الجذور والتموقع ونظام الحكم**، 21– 02– 2017، الموقع الرسمي للدكتور العربي دحو.
منقول من موقع: www.Larbidahou.com

التعرف عليها عن طريق عدد ضرباته وأوقاتها، وصوت السلطان يتبعه أصوات طبول رؤساء القبائل لكي يصل الأمر إلى أسماع القبيلة في المنتجعات، وأهم الأشياء التي يضرب فيها الطبل: التجمع العام، اختفاء إحدى القبائل، إعلان الحرب، وغيرها من الأوامر[1]،ولكل هذه الحالات شفرات معينة مقررة من المجلس العام تبعث عن طريق دق الطبل، فإعلان الحرب بدق اثني عشرة ضربة على الطبل ليلا نهارا دون انقطاع، وغزو الأعداء ست ضربات واخفاء القوافل المهمة ضربتان، وهكذا تتم مع بقية الحالات[2].

أما شيخ القبيلة (أمغار): هو من تولى تسيير شؤون قبيلته ويحمي مصالحها ويمثلها في الاجتماعات العامة، كما أنه يقود رجال قبيلته في حالة الغرب أو في الغارة على إحدى الجهات المعادية، وبالنسبة للإمام يتم اختياره من بين الفقهاء المتمكنين من الدين الإسلامي ومهمته ارشاد السلطات وتنويرها في مسائل الدين، ويعتني بأمور التعليم ويحل النزاعات والخصومات القبلية[3].

أما بخصوص العلاقات بين هذه السلطات الطارقية، كانت بينهم منافسات لأسباب معينة، كالظروف الطبيعية والاقتصادية التي أدت إلى حروب طاحنة سببها النهب والغزو بينها مثل حرب إنطروان سلطنتي الهقار وتقريقريت في أواخر القرن التاسع عشر[4].

2- الحياة الاقتصادية عند الطوارق:

تعتمد قبائل الصحراء في حياتهما الاقتصادية والمعيشية على تربية الحيوانات، وخاصة الإبل والماعز وأنواع من الضأن تدعى تيهري، ويقوم العبيد والموالي برعي هذه المواشي وتفقدها والسهر عليها، ويرحل هؤلاء السكان من مناطقهم نحو المناطق الممطرة لرعي

---

[1]- محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 51.

[2]- نفسه، ص 52.

[3]- نفسه، ص 53.

[4]- نفسه، ص 57.

مواشيهم[1]: حيث يعتبر الرعي الوسيلة الأولى لكسب القوت عند الطوارق، إذ أنهم ينتقلون في فصول السنة المختلفة من منطقة لأخرى سواء داخل منطقة الهقار أو نحو بلاد مالي والنيجر بحثا عن الغذاء لإبلهم وحيواناتهم، إذ أنهم يقطعون مسافات طويلة تمتد إلى شهور عديدة، وذلك لأن تربية الإبل تعتبر الثروة الأساسية عند طوارق الهقار، ولا يحق لأي طارقي أن يرعى حيوانات في أراضي قبيلة أخرى أو يستفيد بمياه آبارها، أو أن يعبرها بمواشيه وإبله دون أخذ إذن من شيخها بعد ان يدفع له مقابلا عينا على ذلك[2].

كما لا يشتغل هؤلاء القبائل في الزراعة فهي تعتبر من عمل العبيد والطبقات السفلى لأن الطوارق يحتقرونها ولا يحسنونها، غير أن في بعض السلطنات مثل سلطنة كل أقرس Kel agras تقوم بزراعة الذرة والدخن، وبعض الخضر لكن بكميات قليلة، كما أنهم يعملون أيضا بالصيد وخاصة الغزلان والنعام والزراف، وباعتبار الجمل وسيلة التنقل الرئيسية في الصحراء الكبرى، فإن قبائل الصحراء يستخدمونه في نقل بضائعهم حيث يتوجهون إلى غات ومرزق محملين قوافلهم اللحم المقدد والجلود، ودهن النعام وبيض النعام وريشه، ويشترون بدلها الشاي والسكر والتمر والقماش[3].

وبحكم موقعهم الجغرافي الممتاز في وسط الصحراء الكبرى، جعلهم حلقة وصل بين الشمال الإفريقي، وبين قبائل الهوسا في ممالك كانم وقرو (نيجيريا الحالية)، وكذلك سكان بحيرة التشاد، ووسط افريقيا وحتى بلاد غانة فهم تجار قوافل، وكانوا يحضرون الملح من بلما Palma وتاودني، وينقلونه إلى الجنوب وهو من السلع النادرة قديما حيث كان الملح يباع بوزنه ذهبا، إضافة إلى ذلك ينقلون القماش والأغطية والفرش المصنوعة من الصوف

[1]– نفسه، ص 75.

[2]– محمد علي الخطيب: مرجع سابق، ص 147.

[3]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 75.

القادمة من الشمال[1]، أما من الجنوب فكانوا يحملون الذرة والدخن والأرز إلى منتجعاتهم، وقبل الاحتلال الفرنسي للصحراء لما كانت طرق القوافل التجارية[2] مزدهرة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس كان الطوارق يسيطرون على هذه الطرق، حيث كانوا يفرضون عليهم الضرائب والإتاوات وإلاّ تتعرض هذه القبائل للنهب والسلب، كما أنهم كانوا يقتنون القماش والبسط والمنسوجات الليبية والمصرية وخاصة القماش الأزرق[3].

كانت قبائل الطوارق تشن الغارات على قبائل بعيدة عن موطنهم خصوصا في فترات القحط والمجاعات التي تتعرض لها المنطقة، حيث يستعبدونهم ويستغلونهم أبشع استغلال، ولتنفيذ الغارة يقطون مئات الكيلومترات في الذهاب والإياب، بحيث تستغرق الغارة كاملة عدّة أشهر، مع أن عملية الغارة نفسها لا تستغرق أكثر من دقائق، وتنقسم هذه الغارات إلى قسمين: الغارة قصيرة المدى، والغارة بعيدة المدى، فالأولى يقوم بها عدد محدود من الأفراد بالترصد لقافلة آتية من بعيد، ثم يفاجئونها وخلال دقائق يجمعون سلاحها ومؤونتها وحيواناتها، أما الثانية فتحتل مكانا من النظام الاجتماعي للمجتمع الطارقي، تتميز بالسرعة وتقسيم العمل بين أفرادها، بحيث يتم جمع الغنيمة والفرار بها، وهذه الغارات كانوا يعتمدن عليها في حياتهم الاقتصادية والمعيشية[4].

---

[1]– نفسه، ص 76.

[2]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 77.

[3]– انظر الملحق رقم 03، ص 83.

[4]– محمد علي الخطيب، مرجع سابق، ص 148.

3- الجانب الاجتماعي في القبيلة الطارقية:

تعد الأسرة هي الخلية الصغرى في المجتمع الطارقي، وفي المجتمعات القبلية بصفة عامة، وتعرف الأسرة عندهم بـ ايهين أي الخيمة، وبعد الأسرة تأتي العشيرة أو العائلة وتسمى كل ايهين ويعيش معهم مجموعات من العبيد والموالي التابعين لها[1]، وسكن هؤلاء القبائل في بيوت مصنوعة من الحجارة والطين، والشجر، ومن الشعر والوبر وأكثر أثاثهم من الصوف، وطعامهم يعتمد على اللحم واللبن والعسل والزبيب وبعض الحبوب وهم صبورون على الجوع والعطش[2].

وللمرأة الطارقية دورا مهما في المجتمع الطارقي، حيث أنها تتمتع باستغلالية كبيرة وبجميع الحقوق التي يتمتع بها الشاب، وعادة ما تكون المرأة مثقفة أكثر من الرجل، وتتعلم لغة التيفيناغ وكتاباتها، ويمكن لها أن تتزوج برجل أقل منها منزلة، لكن الرجل عليه أن يتزوج بامرأة من طبقته الاجتماعية أو أعلى منها[3].

كما يترك الرجل للمرأة مساحة من الحرية بدون تحفظ كاختيار شريك الحياة، ورعاية شؤون المنزل[4]، ويحتفظ الرجل بزوجة واحدة في وقت واحد هو قاعدة بين الطوارق، وقد يحدث الطلاق[5]، و عندما يقع الطلاق بين الزوجين في المجتمع الطارقي تفتخر المرأة بذلك وتسمى بعده الحرة من أي التزام، والحكمة من ذلك أنها بتعدد زواجها وطلاقها تنجب الكثير من الرجال للقبيلة[6]، ولهذا المجتمع الطارقي عادات وتقاليد شبيهة بعادات باقي شعوب العالم

---

[1]- محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، نفس المرجع، ص 63.

[2]- عصمت عبد اللطيف دندنش: مرجع سابق، ص 35.

[3]- محمد علي الخطيب: مرجع سابق، ص 150.

[4]- عنود القبندي: الطوارق أسطورة تحاكي الصحراء الكبرى، **مجلة بيئتنا**، الهيئة العامة للبيئة، ع 139، 2011، ص 45.

[5]- اسماعيل العربي: الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق الهقار، **مجلة الأصالة**، مرجع سابق، ص 39.

[6]- عنود القنبدي: نفس المرجع، ص 46.

العربي[1]، فهم يدربون أولادهم على ركوب الإبل، ويحترمون الشجاعة ويقدرونها ويربون أولادهم على حبها، ومن عاداتهم أيضا التعاون والمساعدة[2].

أما من حيث صفاتهم فالطوارق يتميزون بطول أجسامهم، بعضهم يبدو كأنهم عمالقة نحفاء، حادون، عصبيون، عضلاتهم كأنها نابض حديدي، ذو بشرة بيضاء، لكن الشمس غيرت لون بشرتهم، وعند العبيد هي امتزاج بين اللون الأسود والأبيض، عريضي الجباه، سود العيون، صغار الأنف أفواههم متوسطة، وشفاههم دقيقة، أسنانهم بيضاء وجميلة، قليل منهم ذو عيون زرقاء[3].

ويقول **ألبار فارمي** في روايته الطوارق وهو يصف الرجل الطارقي: " استطعت أن أميز الوسامة الأصلية لوجهه البيضاوي الممتد، في انسجام وانتظام، كانت عيناه ذات زرقة قاتمة، في تباين واضح مع لون بشرته الزيتوني، وكان الكل يوفي بالنسب النبيل"[4].

و يتكون النظام الاجتماعي عند الطوارق من خمس طبقات رئيسية لا يمكن تغييرها وهي حسب الترتيب التالي:

طبقة النبلاء: يمثل هذه الطبقة الأشخاص الذين يتمسكون بالعادات والتقاليد الطارقية العريقة، والذين يبرزون أنفسهم ويفرضون شخصيتهم على الآخرين سواء في الحروب أو بمركزهم المادي، ومن بينهم السلطان وشيخ القبيلة، إضافة إلى بعض القبائل التي تعتبر الطبقة النبيلة[5].

طبقة الأتباع (إمغاد): تتكون هذه الطبقة من الأسر والعشائر التي لم تساعدها

---

[1]– إسماعيل العربي: الحياة الاقتصادية...، نفس المرجع، ص 39.

[2]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 161.

[3]–Duveyrier, Henri : **les touaregs du nord**, Paris, 1864 , T1 , P P 381 – 382.

[4]-Ferme Albert : **le touags**, Paris, 1900, P 5 – 6.

[5]– محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 65.

الظروف على الحفاظ بالعادات والتقاليد الطارقية، وهم محاربون أقوياء حيث يتخذ منهم السلاطين معظم جيوشهم[1]، وهم الذين يدفعون الجزية، وأصحاب هذه الطبقة يعتبرون أكثر ثراءا من النبلاء وذلك لامتلاكهم للحيوانات المختلفة[2].

طبقة الفقهاء(الإنيسليمن): Ineslemen ومفردها أنسليم Anslem ويعني هذا الاسم المتدينون أو المسلمون، يطلق هذا الاسم بالأخص على فئة من كال تاماشاغ سخرت نفسها لدراسة الدين[3]، وتولوا تحفيظ القرآن الكريم لأبناء الطبقات ونشر الثقافة الإسلامية بين الطوارق، وأفراد هذه الطبقة لا يحملون السلاح ولا يقومون بالحروب ولا دخل لهم بها، إنما يخدمون الدين فقط، وهم تحت حماية طبقة النبلاء التي تتولى الدفاع عنهم وحمايتهم، وتسمى هذه الطبقة إيماجيرن[4].

طبقة الحدادين(الإينادن Inadan): مفردها إيناد المؤنث تنات Tenat[5]، أي الصناع التقليديون(إينضن- إيكوان- إيكدمان)، وهم مجموعة من الحرفيون موزعون في كل القبائل يصنعون السلاح والسيوف، والسكاكين والدرق ويصنعون رواحل الإبل، وأغلب حلية الصحراء الفضية والذهبية، وزوجة الحدّاد تصنع الوسائد والجلود، كما تزين العروس ليلة عرسها[6].

طبقة العبيد (الإيكلن Iklan): مفردها أكلي Akli المؤنث تاكليت Taklit[7] فهي تعني طبقة الخدم الذين تم استعبادهم بواسطة الأسر في الحروب[8]، وهؤلاء القبائل مقسمون

---

[1]- نفسه، ص 66-67.

[2]- محمد علي الخطيب: مرجع سابق، ص 153.

[3]- ابراهيم بتقة: مرجع سابق، ص 92.

[4]- محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 67.

[5]- ابراهيم بتقة: نفس المرجع ، ص 93.

[6]- محمد سعيد القشاط: **صحراء العرب...** ، نفس المرجع، ص 153.

[7]- ابراهيم بتقة: نفس المرجع، ص 95.

[8]- التنبكتي: مرجع سابق، ص 30.

حيث لكل خيمة أو أسرة عبيدا، الذين يرعون الإبل والبقر ويقومون بأعمال كثيرة وشاقة يجلبون الحطب وينصبون الخيم، ويخدمون الضيوف الذين ينزلون بخيمة سيدهم، وأثناء الرحيل هم الذين يحملون الإبل ويهتمون بخيول السادة[1].

يتضح لنا مما سبق أن قبائل الطوارق ينحدرون من أصول صنهاجية ويلقبون بالملثمين لأنهم يضعون اللثام على وجوههم، ويتكلمون لهجة بربرية قديمة، ويعيش هؤلاء القبائل على تربية الحيوانات، وجزء بسيط من الزراعة وهم قوم شرفاء يتصفون بالشهامة والشجاعة.

[1]– محمد سعيد القشاط: **صحراء العرب**...، نفس المرجع، ص 154.

الفصل الثاني

توسع الإستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية

المبحث الأول: دوافع الإهتمام الفرنسي بالصحراء.

المبحث الثاني: عوامل السيطرة الفرنسية على الصحراء.

المبحث الثالث: التوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري.

لقد اشتد التنافس الأوروبي بين القوى العظمى بزعامة بريطانيا وفرنسا للبحث عن المجال الحيوي في قارتي إفريقيا وآسيا، وزاد الصراع بين الطرفين للسيطرة على أهم المناطق في العالم، مستخدمة في ذلك أسلوبا علميا يخدم منظومتها الاستعمارية، والمتمثلة في البعثات الاستكشافية والمغامرة التي بدأتها بريطانيا أولا ثم فرنسا فيما بعد، خوفا من استفرادها بالمواقع الاستراتيجية في القارة السمراء وخاصة في الصحراء الكبرى، وقد زاد حماس الفرنسيين لهذه الكشوفات بعد نجاحها بإحتلال الجزائر وبالضبط بعد صدور المرسوم الملكي سنة 1834م الذي جعل من الجزائر قطعة فرنسية، وبعد ظهور اللجنة الإفريقية في الجزائر، وبهذا استطاع الاستعمار الفرنسي بسط نفوذه على المناطق الساحلية أولا ثم أخذ يتوسع نحو المناطق التلية، وظلت منطقة الصحراء خلال العهود الأولى من القرن التاسع عشر مجهولة وصعبة المنال بالنسبة لهم.

وتعد حركة الكشوفات أولى مراحل التوسع الاستعماري، لأن الإدارة الفرنسية أخذت في إرسال البعثات الاستكشافية نحو الجنوب الجزائري للتعرف على إمكانيات الصحراء الاقتصادية والبشرية لاستغلالها واستثمارها، واستكشاف المظاهر الطبيعية والجغرافية الخاصة بالمنطقة، وقد كانت أولى مغامرات الفرنسيين في الصحراء منذ رحلة "روني كاييه Renie Caillié" (1824–1828)، لتزداد هذه البعثات أكثر فأكثر خلال الربع الأخير من القرن 19م، وعلى الرغم من تعرض الكثير من حملاتهم وبعثاتهم العسكرية إلى هجومات من طرف سكان الصحراء، إلا أن الإدارة استمرت في إرسال المستكشفين إلى مختلف أصقاع الصحراء لتحصل على المعلومات الدقيقة لاستكمال توسعها وسيطرتها عليها، ووضع حاميات عسكرية تؤمن لها المنطقة وتتصدى لمقاومة السكان،وبفضل ما قدمته هذه البعثات من دراسات طوبوغرافية ومناخية واجتماعية للمناطق التي تم الوصول إليها من قبل المستكشفين، فإن عملية التوسع نحو الجنوب عرفت تطورا كبيرا خاصة بعد التعرف على مسالك الصحراء وطرقها التجارية وشق الطرقات، ومد السكة الحديدية إضافة إلى الاستثمار في الزراعات الصحراوية التي تفتقر إليها فرنسا والدول الأوروبية.

المبحث الأول: دوافع الإهتمام الفرنسي بالصحراء:

لقد كان وراء هذا التوسع باتجاه الجنوب مجموعة من الدوافع التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

1-الدوافع الاقتصادية:

يعتبر هذا الدافع من بين أهم الدوافع التي جعلت الفرنسيين يهتمون بالصحراء، حيث كانت فرنسا كغيرها من الدول الأوروبية تعاني من نقص في المواد الأولية خصوصا بعد الهزيمة التي لحقت بها أمام ألمانيا في الحرب السبعينية، وخسارتها لمنطقتي الألزاس واللورين، حيث يقول السيد "بول Paul " عن هذه الوضعية: "... اليوم التجارة والصناعة الفرنسية تعاني وهي في حاجة ماسة لإيجاد مجالات حيوية للمستقبل، وأن أسواق العالم القديم تغلق كل يوم أمام منتوجاتنا الطبيعية والصناعية، نستطيع القول أنه لم يبقى في الكرة الأرضية إلا منطقتين تستطيع فيها فرنسا اليوم القيام بالاستعمار في المستقبل فيهما هما: الهند الصينية، وإفريقيا...الجزائر تقع في بوابة عالم إفريقيا، وتمنحنا في بضع ساعات من البحر قاعدة صلبة لعمليتنا السهلة والمنظمة حيث لا يتطلب من الأمر إلا مد أيدينا لتحقيق إمبراطوريتنا التي تعبر عن حالتنا في عالم داخل إفريقية والسودان..."[1].

ومن الأسباب الأخرى التي دفعت بفرنسا لاحتلال الصحراء، استغلال الطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيارات إفريقيا من جهة، واستغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجاتها من جهة أخرى، فباحتلال الجنوب الجزائري ستتمكن السلطات الفرنسية من فتح مجالات واسعة وإيجاد طرق جديدة للتجارة[2]، ولتحقيق ذلك لجأوا إلى استخدام

---

[1]- محمد هقاري:"دور سكان منطقة أزجر و الهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى"، **مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية**، الجزائر، ع. 24، 2016، ص26. نقلا عن:
Philebert (G) et Gerafes Rolland :**La France en afrique et le transsaharien** ,P10

[2]- يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين19 و20م**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج1، ط2، ص ص332-333.

مختلف الوسائل أهمها، استدعاء زعيم الطوارق الديني الشيخ عثمان[1] لزيارة الجزائر العاصمة، وقسنطينة واثروا فيه، فقبل هو والشيخ إيخنوخن[2] بإبرام اتفاقية 26 نوفمبر 1862م بغدامس مع البعثة الفرنسية التي توجهت إلى هناك[3].

ونتيجة لهذه الاتفاقية تم توسيع عمليات التبادل التجاري بين فرنسا والجنوب الجزائري والصحراء الإفريقية، وفتح المجال أمام الاستثمار واستغلال هذه المناطق للحصول على المنتجات التي تفتقر إليها فرنسا خاصة وأوروبا عامة، وقد ساهمت البعثات الاستكشافية في عملية الكشف عن الثروات المعدنية الضخمة التي تزخر بها فرنسا لخدمة اقتصادها وازدهارها[4].

ولتحقيق هذه الأهداف عملت فرنسا على انجاز شبكة للمواصلات، من أبرزها السكة الحديدية والبريد وأسلاك الهاتف[5]، وذلك بمد سكة حديدية عبر الصحراء تربط بين الجزائر العاصمة والمدن الصحراوية لاستغلال ثرواتها[6]، ثم الانتقال إلى انجاز طرق حديدية أخرى تكون عابرة للصحراء لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض[7].

---

[1]– الشيخ عثمان: هو بمثابة وزير خارجية وقد مثل في مهمات متعددة خارج سلطنة أزجر على مستوى الصحراء الكبرى، ويقال أنه سافر إلى باريس، وبقي عدة سنوات في مهمة تهم السلطنة وسعى لوصول فرنسا إلى غات وغدامس، وعقد مع الفرنسيين معاهدة غدامس 1962، أنظر: محمد سعيد القشاط: **الطوارق عرب الصحراء** ...، مرجع سابق، ص240.

[2]– الشيخ إيخنوخن: هو زعيم طارقي، تولى سلطنة الآزجر في القرن 19م، وكان مركزها غات، وصل الرحالة الفرنسيون والانجليز إلى غات وغدامس عن طريقه، وعقد معه اتفاقيات أنظر: محمد سعيد القشاط: **أعلام من الصحراء**، دار الملتقى، بيروت،1997، ط1، ص 94.

[3]– يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر**...، مرجع سابق، ص151..

[4]– إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار**...، مرجع سابق،ص ص، 82–83.

[5]– يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**...، مرجع سابق، ص 319.

[6]– عبد الرحمان نواصر: "السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين 1873–1962، منطقة المنيعة نموذجا"، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، ع.1، 2016، ص 113.

[7]–يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر**...، نفس المرجع، ص94.

2-الدوافع السياسية والعسكرية:

إن السبب الرئيسي للتقدم الفرنسي في الصحراء إنما يرجع إلى تعزيز الوجود الاستعماري بالمنطقة وكذلك لإبعاد خطر المنافسة البريطانية[1]، التي كانت تسعى للتوغل داخل الصحراء بهدف تكوين إمبراطوريتها الاستعمارية في القارة الإفريقية[2]، لذلك لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق مع بريطانيا في 05 أوت 1890م، تضمن أن تكون أراضي الجنوب مناطق نفوذ فرنسية[3].

كما أدركت فرنسا أن احتلالها للجنوب الجزائري يضمن لها احتلال كامل للبلاد، وذلك لأن الثورات الشعبية التي كانت تندلع في الجزائر من فترة لأخرى أصبحت تجد في الجنوب وواحاته معقلا يفر إليه المجاهدون ليحتموا فيه ويستعدوا للهجوم على قوات الاحتلال مرة أخرى، بعد أن يرتاحوا ويتزودوا بالمؤونة والسلاح ويتلقوا المساعدات من البلدان المجاورة[4].

لقد لاحظ ذلك الرحالة الألماني "جيرارد رولف GERHARD ROHLFES " ما مدى المشاركة والدعم لأهل الجنوب للشمال عندما زار إقليم توات[5] سنة 1864م حيث قال بهذا الخصوص: " ...قبل كل شيء على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم إلى نهاية وادي

---

[1]- كان اهتمام الانجليز بالصحراء قبل الفرنسيين حيث أسسوا في سنة 1788 الجمعية الجغرافية الإفريقية، وقاموا بجمع كل المعلومات عن المنطقة من خلال ماكتبه اليونان، والرومان، والعرب، بعدها بدأت الرحلات الاستكشافية، من أهم الرحالة والمغامرين الذين أرسلوا من طرف بريطانيا لاكتشاف الصحراء مونغو بارك، جون ليديار...، أنظر: أحميدة عميراوي و آخرون: مرجع سابق، ص ص، 30-31.

[2]- أحمد مريوش: مرجع سابق، ص114.

[3]- نفسه، ص 116.

[4]- إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار** ....، مرجع سابق، ص 76.

[5]- إقليم توات: عبارة عن اقليم جغرافي شاسع يقع في جنوب غرب الصحراء الجزائرية، وأصل كلمة توات مختلف فيه، فيوردها البعض إلى اللغة التكرورية، ويقصد بها الألم والوجع الذي يصيب رِجْل الإنسان، وهذا ما جاء في كتاب السعدي في تاريخ السودان، في حين يوردها البعض الآخر اسم أحد البطون والفروع المنحدرة من قبيلة الملثمين أي سكان الصحراء، أنظر: عبد الله عباس: "**الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 15 و16م**" **رسالة ماجستير** في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، موسم 2000- 2001، ص 13.

الساورة فمن هناك بالضبط تبدأ كل المصاعب وكل الفوضى ما دام الفرنسيين لم يستولوا على هذه الحدود الطبيعية، ولن يكون هناك أي هدوء دائم في جنوب مقاطعة وهران"[1].

ومن بين الدوافع التي جعلت فرنسا تسيطر على الصحراء هي إخمادها للثورات الشعبية التي قاومت سياسة التوسع الاستعمارية، والتي كان أولها ثورة الزعاطشة سنة 1849م بزعامة الشيخ بوزيان وهو من أتباع الطريقة الرحمانية[2] ومن منتسبيها[3]، وعلى الرغم من تمكن الاستعمار الفرنسي من القضاء على هذه المقاومة بتدمير كل الواحة وقتل زعيمها بطريقة شنيعة لإرعاب السكان وإنذارهم، إلا أن الثورات استمرت عدة شهور أخرى، وظهرت في العديد من مناطق الصحراء كثورة أولاد سيدي الشيخ 1869م وغيرها، وهكذا اتسعت دائرة المقاومة الشعبية في الصحراء، إلا أن الإدارة الفرنسية استطاعت تطويقها والقضاء عليها في جميع أقاليم الصحراء، وذلك لجمعها خبايا الصحراء ونوعية تضاريسها ومناخها وطبيعة شعوبها[4].

ومن الدوافع الفرنسية الأخرى لاحتلال الصحراء، سعيها لتفكيك المجتمع الجزائري وتقسيمه عن طريق فصل الصحراء عن الشمال وتكوين دولة مستقلة فيها تضم كل سكان الصحراء وإخضاعه إلى نظام إداري عسكري متميز بهدف التوسع في إفريقيا جنوبا ومنافسة الدول الأوربية بتكوين مناطق نفوذ لها[5].

---

[1]– إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار...**، مرجع سابق، ص77.

[2]– الطريقة الرحمانية: هي طريقة صوفية تأسست في أواخر القرن 18م على يد شيخها ومؤسسها محمد بن عبد الرحمن الأزهري الجرجري المعروف أيضا بنسبه إلى الزواوة وإلى الأزهر من قبيلة آيت إسماعيل، وتاريخ ميلاده غير متفق عليه، ومن تعاليم هذه الطريقة الاستغفار والتشهد وبعض الأدعية، ولما توفي الشيخ عبد الرحمن خلفه الشيخ علي بن عيسى المغربي، أنظر: سعد الله أبو القاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي1500 –1830م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ج1، ط 1، ص ص، 506–509.

[3]– أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 120.

[4]– نفسه، ص ص، 122–123.

[5]– أحميدة عميراوي وآخرون: مرجع سابق ، ص 27.

كما لخصت بعثة فلامون المرسلة إلى عين صالح سنة 1899م مجمل الدوافع التي جعلت فرنسا تسعى للسيطرة على الصحراء الجزائرية[1]، والتي طالما سعت لضمها إلى بقية مستعمراتها الصحراوية، نظرا لأهميتها في عمليات التوسع في الجنوب، واحتلال إقليمي "توات والهقار"[2].

3-الدوافع الدينية:

يدخل هذا الدافع في إطار إتمام إستراتجية التنصير التي وضعت الكنيسة الكاثوليكية قاعدته الأولى في الجزائر من خلال تكوين المؤسسات منها جمعية الآباء البيض، وجمعية الأخوات البيض، الذي وضع أسسهم الكاردينال لافيجري[3]، وهما تنظيمان من رجال ونساء مخلصين لعقيدتهم الدينية والمؤمنين برسالة بلادهم الاستعمارية، تجندوا لنشر المسيحية وجلب السكان إلى أحضان فرنسا، وكان الرجال يلبسون لباس الرجال المسلمين، والنساء يلبسن لباس النساء المسلمات، مع بعض الفوارق البسيطة، وكان لافيجري يعتقد أنه بتكوين هذه الجمعيات إنما يقوم بحملة صليبية حقيقية على الطريقة الكلاسيكية[4].

لقد سعى المنصرون أثناء الاحتلال الفرنسي للمنطقة إلى تمسيح الوسط قبل تمسيح الروح، وقد تم ذلك عن طريق المحو الكلي أو الجزئي للمظاهر الدينية في المجتمع، إضافة إلى بناء الكنائس والأسقفيات التي عملت على نشر التعاليم المسيحية وتتجلى أعمالهم في تمسيح المؤسسات الدينية مثل: الزوايا والمساجد أو على تدميرها وتحويلها إلى أغراض أخرى، ويمكن حصر مظاهر التنصير في هذا المجال فيما يلي:

---

[1]- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي** ...، مرجع سابق، ص 458.

[2]- نفسه، ص 466.

[3]- الكاردينال لافيجري: رجل ديني فرنسي، رئيس أساقفة الجزائر، ومؤسس جمعية الآباء البيض في سنة 1868م، والتي استطاعت أن تؤسس العديد من المعاهد والمراكز العلمية التنصيرية في عدة أرجاء مختلفة من العالم، ولقد لعب دورا كبيرا في تنصير العديد من الأطفال والشيوخ والنساء الجزائريين في فترة الستينات، أنظر: أحميدة عميراوي وآخرون: مرجع سابق، ص 81.

[4]- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار البصائر، الجزائر،2007، ج1، ص407.

- إخضاع القضاء الإسلامي إلى القضاء الفرنسي
- نفي علماء الدين وإبطال شرعية المواسم الإسلامية
- إرغام الأئمة على إلقاء خطب يوم الجمعة باسم فرنسا.
- انتهاج السياسة الفرنسية ومحاولة القضاء على الثقافة الإسلامية بما فيها اللغة العربية والتراث الإسلامي، والعمل على نشر لغة المستعمر ودينه وتاريخه وتغذية اللغات أو اللهجات المحلية والعمل على نشرها ومنها البربرية، إضافة إلى هدم المساجد وتحويل بعضها إلى كنائس[1].

ولم يقتصر نشاط هؤلاء المنصرين في المناطق الشمالية فقط بل تجاوزها إلى الصحراء ثم إلى إفريقيا، ورأى لافيجري أن أكبر عائق لفرنسا في السودان هو الإسلام لذلك قام بتأسيس جمعية الإخوة البيض في الصحراء، وإنشاء الإرساليات وبثها وسط السكان المسلمين، وكانت مهمتها هي الاستيلاء على هذه المناطق الشاسعة لفرنسا[2]، واتضحت سياسته التنصيرية في إقامة مجموعة من الكنائس في كل المدن الصحراوية وفي أكثر الأحياء الشعبية كثافة بالسكان، وأكثرها فقرا إذ يستغل المبشرون هذه الأوضاع لتقديم المساعدات للسكان، وبذلك يتم التقليل من تأثير المرابطين ورجال الطرق الصوفية في أواسطهم، وبذلك يجسدون سياستهم التنصيرية ويتجنبون الدعوات الداعية لمحاربتهم، وقد انطلقت طلائع المبشرين في عقد الخمسينات من القرن الماضي، إذ تولى الجنرال بيجو تنفيذ سياسة التنصير واسعة النطاق حددها في قوله:"... علينا أن نجعل من الأرض الجزائرية مهدا في دولة مسيحية تضاء أرجاؤها بنور منبع الإنجيل... تلك هي رسالتنا..."[3].

كما أغرت فضول هذا المخطط التبشيري المعد خصيصا للصحراء، الأب ريتشار Ritchard الذي ألح على لافيجري بالسماح له بالذهاب إلى منطقة أزجير للقيام بعملية

[1]– أحميدة عميراوي و آخرون: مرجع سابق، ص105.

[2]– سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ص408.

[3]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص27.

تمسيح الطوارق بمعية الأب كرمبون karmabon، وبذلك يظهر أن المخطط التبشيري في الصحراء الذي أشرفت عليه الكنيسة الكاثوليكية بمعية الحكومة العامة بالجزائر، كان يدخل ضمن إستراتيجية سير الكنيسة في المقدمة وبموازاة الزحف الاستعماري في الشمال والصحراء أيضا، والهدف هو إحياء الكنيسة الإفريقية الرومانية على كامل التراب الوطني[1].

وقد نشطت البعثات الدينية في الصحراء بإرسال مجموعة من المستكشفين خلال السبعينات، ولكنها توقفت خلال عقد كامل (1881–1891)، ولكن منذ التسعينات توغل الفرنسيون في الصحراء بعناوين مختلفة، فكثرت البعثات العلمية والاستكشافية وتمكن الآباء البيض من إرساء مركزهم في غرداية وورقلة، وتوسع نشاطهم من هناك إلى مناطق أخرى، إذ كانوا يجمعون الأخبار ويدرسون حركات القوافل والثوار والتجارة فكانوا بذلك روادا للاستعمار وطلائع للهيمنة الفرنسية على الصحراء[2].

[1]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص27.

[2]– سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ص409.

المبحث الثاني: عوامل السيطرة الفرنسية على الصحراء.

1-أطماع فرنسا صوب التجارة الصحراوية:

لقد أولى الفرنسيون اهتماما كبيرا بالصحراء للتعرف عليها وعلى الطرق الصحراوية ومسالك القوافل إلى السودان، ففي عام 1855م قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغا بقيمة 6 ألاف فرنك للذي يقوم برحلة من الجزائر إلى السنغال، أو بالاتجاه المعاكس بشرط أن يمر بمدينة تنبكتو[1]، ويحصل على معلومات دقيقة وجديدة حول القوافل التي تعبر من هناك، ومعرفة اتجاهاتها وأهميتها ومواعيد سفرها، وذلك من أجل السيطرة على النشاط التجاري الواسع والمزدهر بالصحراء[2]، ولتسهيل عمليات تنقل قواتهم العسكرية الغازية، وتيسير ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشئوها أو التي سينشئونها مستقبلا في الواحات والمناطق الإستراتجية المهمة، وكذلك لخدمة أغراض التجارة الفرنسية، وفتح الأبواب والسبل لها في كل أسواق القارة الإفريقية[3].

ومن خلال الحملات العسكرية والبعثات الاستكشافية ودراسة كتب الرحالين المؤرخين المسلمين أمثال: ابن خلدون، الحسن الوزان، والبكري، وغيرهم[4]، ومن ضمن من درس هذه الطرق وتعرفها كودراي Coudrayi، والراهب بارجيس Barges ، وادوارد بلان Edouard Blanc الذي وصفها حسب ما وردت في خريطته من الغرب إلى الشرق مع الإشارة إلى الذين سلكوها، وتوصلوا إلى معرفة طرق القوافل الصحراوية التالية[5]:

---

[1]- تنبكتو : وتعني بئر بكتو، وبكتو اسم امرأة كان قد عهد إليها الطوارق حراسة بئر كانت توجد في ذلك المكان، الذي اتخذه الطوارق مركزا للانتجاع بمواشيهم في فصل الجفاف بالسودان حوالي بداية القرن التاسع ميلادي، وقد حفروا فيه بئرا ثم تكاثرت الآبار، أنظر: إبراهيم بتقة: مرجع سابق، ص 60. نقلا عن: عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين**. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د.ت. ص، 100.

[2]- إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار...**، مرجع سابق، ص 50.

[3]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص 136.

[4]- إبراهيم مياسي: **مقاربات في تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 35.

[5]- يحي بوعزيز : **مع تاريخ الجزائر** ... ، نفس المرجع، ص 136.

طريق مراكش إلى تنبكتو، طريق فاس ومكناس إلى تنبكتو، طريق وهران وأرزيو إلى تنبكتو، طريق سكيكدة وقسنطينة إلى أمقيد والهقار وتنبكتو، طريق طرابلس إلى تنبكتو[1]، وأهم الأسواق التي تتجه إليها هذه الطرق في أعماق الصحراء، تتجمع في ثلاث مناطق مهمة ورئيسية هي: سوق تنبكتو الذي كانت له أهمية خاصة في السودان الغربي وأسواق التشاد في السودان الأوسط وأسواق السودان الشرقي[2].

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر اشتد اهتمام الفرنسيين أكثر من أجل ربط مستعمراتهم ببعضها البعض في الشمال، والغرب، والوسط[3]، حيث كثفوا نشاطهم الاستكشافي في الصحراء، فقد قام القائد الأعلى لدائرة البيض "دوكولومب De Colomb" برحلة استكشافية إلى قصور الجنوب الغربي الجزائري، وشرع في الاستكشاف عام 1857م حيث زار قصور تينقورارين وتوات، وتيديكلت[4]، التي وصفها بكونها "جزر خضراء وسط محيط من الماء"[5]

[1]– يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص ص 137–138.

[2]– نفسه، ص 94.

[3]– نفسه، ص 97.

[4]– التيديكلت: تقع هذه المنطقة في أقصى الجنوب الجزائري من خطي °25–°30 شمالا و خطي طول °1 غربا و°6 شرقا تحدها هضبة تادميت من الشمال ومنطقة الهقار من الجنوب، وتيديكلت كلمة أمازيغية تعني " كف اليد" وهي أحد المقاطعات الثلاث المكونة لإقليم توات، انظر: إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص 453.

[5]– نفسه، ص 410.

- بعثة هنري دوفيرييه Henry Duveyrier 1858-1860م:

بعد رحلة "دوكولومب" وقع الاختيار على هنري دوفيريه[1]، الذي رشح لهذه المهمة ليمهد تسرب النفوذ الفرنسي للجنوب كمنطقة الطاسيلي وإقليم توات[2]، وقبل أن يشرع في رحلاته الرسمية قام برحلة استطلاعية إلى مدينة القليعة، وبالرغم من أنه طرد وتعرض للتهديد، إلا أنه اعتبر رحلته ناجحة[3].

فقد بدأ رحلته من مدينة سكيكدة 1858م باتجاه مدينة بسكرة، ثم توجه إلى غرداية لينتقل إلى متليلي أين التقى بالعديد من سكان الطوارق، وتعرف على بعضهم ليساعدوه في زيارة بلادهم ومنها توجه إلى المنيعة، ثم بعدها إلى الأغواط[4]، حيث تعرف فيها على العديد من العادات والتقاليد الصحراوية، كما حاول اكتشاف قصور توات وبلاد الطوارق، وفي سنة 1859م غادر الأغواط ليتوجه لاكتشاف مناطق صحراوية أخرى[5].

وفي 10 أفريل 1860م انطلق في مهمة رسمية إلى بلاد طوارق الأزجر برفقة الشيخ عثمان وبعض الأعيان، وزار منطقة غدامس[6] التي تعرف فيها على تضاريس المنطقة، واستعرض قبائلهم المختلفة، وكذا عاداتهم وتقاليدهم[7]، ثم غادر غدامس متجها إلى غات، ثم تجول في منطقة فزان ثم صعد إلى طرابلس ومنها إلى الجزائر، لكن الظروف الصحية

---

[1]- هنري دوفيريه: ولد سنة 1840م، درس التجارة في ألمانيا، تعلم اللغة العربية، كان محبا للمغامرة والاستكشاف لذلك خصص زيارة للجزائر سنة 1857م، وصل حتى مدينة الأغواط، ثم عاد إلى بلده ليعود في رحلة ثانية إلى الصحراء في 08 ماي 1859م، انطلاقا من مدينة سكيكدة، أنظر: عبد الرحمن نواصر: "السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري مابين 1873-1962م، منطقة المنيعة نموذجا"، **مجلة روافد للبحوث والدراسات**، جامعة غرداية، ع1، 2016م، ص 126.

[2]- إبراهيم مياسي: **قبسات...**، مرجع سابق، ص 82.

[3]- أحميدة عميراوي وآخرون: مرجع سابق، ص 66.

[4]- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**،مرجع سابق، ص 410.

[5]- أحميدة عميراوي و آخرون: نفس المرجع، ص 67.

[6] -Capitaine Aymard : **Les Touaregs**, Ed. Hachette, Paris, 1911, p. 24.

[7]- يحيى بوعزيز: "اهتمامات الفرنسيين بالطوارق و منطقة الهقار من خلال ما كتبوه"، **مجلة الأصالة**، ع. 72، أوت 1979، ص 54.

والمالية التي واجهته لم تسمح له بمواصلة رحلته الاستكشافية، ورغم ذلك فقد قدم معلومات هامة حول هذه المناطق في كتابه "طوارق الشمال Les Touareg du Nord " كما هيأ الأرضية المناسبة لانجاز معاهدة غدامس بين فرنسا والطوارق[1].

- إبرام معاهدة غدامس 26 نوفمبر 1862م:

لقد توجت هذه المحاولات بإبرام معاهدة غدامس بين الفرنسيين وزعيم الطوارق الشيخ إيخنوخن، حيث قامت السلطات الفرنسية باستدعاء زعماء هذه المناطق وربط صداقة معهم وقبل رؤساء الطوارق بإبرام هذه المعاهدة في 26 نوفمبر 1862م بغدامس[2]، ومن أهم الأعضاء الذين حضروا الوفد هم: ميرشار،Mircher مارتيمراي Martimray، و المهندس فاتون Vatone، والمترجم العسكري إسماعيل بوضربة[3] وغيرهم، تحركت البعثة من الجزائر العاصمة في 28 سبتمبر 1862م ووصلت إلى غدامس يوم 21 أكتوبر[4].

وبعد الاجتماع الذي عقد في 28 نوفمبر 1862م بين البعثة والوفد الطارقي وقعت المعاهدة بين الطرفين في 26 نوفمبر 1862م والتي نصت على البنود التالية:

1)- إقرار الصداقة والتبادل المشترك لحسن النوايا بين السلطات الفرنسية ومختلف فروع قبائل الطوارق.

2)- يمكن للطوارق أن يمارسوا تجارتهم بكل حرية لبضائعهم وبضائع السودان داخل الأسواق بالجزائر دون أي شرط ماعدا أداء المكوس العادية.

---

[1]- إسماعيل العربي : **الصحراء الكبرى** ...، مرجع سابق ، ص413.

[2]- جمال قنان: **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص142.

[3]- إسماعيل بوضربة: هو ابن أحمد بوضربة الذي عينته السلطة الفرنسية أول رئيس لبلدية الجزائر العاصمة، وهو من عائلة تجنس أغلب أفرادها الجنسية الفرنسية، أنظر: أحميدة عميراوي: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين مليلة، 2005، ص 53.

[4]- إبراهيم مياسي: **مقاربات**...، مرجع سابق، ص 41.

3)- يلتزم الطوارق بتسهيل وحماية التجار المفاوضين الفرنسيين والأهالي الجزائريين المارين عبر مواطنهم، وإلى بلاد السودان ذهابا وإيابا، وكذلك حماية بضائعهم التجارية على أن يدفعوا حقوق الرسوم.

4)- تلتزم السلطات الفرنسية وزعماء الطوارق بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان وإصلاحها وتجديدها وتجديد المكوس وضبطها، وإصلاح وإزالة كل العراقيل في وجه نشاط التجار[1].

وبعد الموافقة على هذه المعاهدة، وإمضائها من قبل الطرفين تم إضافة بنود أخرى خاصة بقبائل أزجر تنص على مايلي:

1)- تبقى عائلة الشيخ الحاج إيخنوخن مكلفة بضمان المرور لقوافل الفرنسيين التجارية عبر بلاد أزجر[2].

2)- تدفع القوافل التجارية الفرنسية ضريبة محددة للشيخ ايخنوخن أو وكلائه على أن تحدد قيمتها فيما بعد.

3)- تسوى الخلافات التي تنشب بين الطرفين بالود والإنصاف من طرف الشيخ أو ممثليه بمقتضى العادات المعروفة في البلد.

4)- يلتزم الشيخ إيخنوخن والزعماء السياسيون الآخرون لطوارق آجر بربط علاقات جيدة مع طوارق قبيلة كال واي، وتهيئة الظروف الحسنة للمفاوضين الفرنسيين لكي يمروا بسلام بقوافلهم عبر بلاد الآيير[3].

---

[1]- أحميدة عميراوي: **موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص 106.

[2]- نفسه، ص 106.

[3]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص 152.

- بعثة قاليفييه Gallifiet 1872-1873م:

اقتحم الجنرال قاليفييه المسافة الفاصلة بين بسكرة و المنيعة للتعرف على هذه المنطقة ثم احتلالها[1]، ففي أواخر 1872م غادر مرسيليا باتجاه الجزائر ثم إلى عين صالح عبورا بالأغواط وغرداية ثم متليلي، وفي يوم 04 فيفري 1873م بدأ الاستكشاف الحقيقي لهذا الرحالة بقوله:"بدأت أخيرا الرحلة الاستكشافية الحقيقية حيث أتواجد في أصقاع ليست معروفة كثيرا من المنيعة إلى عين صالح"، لم يستقبل من طرف السكان لكنه قدم معلومات هامة وقيمة للسلطات الفرنسية[2].

- بعثة الثلاثي دونو Dounaux، وديبار Dupere، و جوبار Joubert 1873-1874:

عزم الفرنسيون على التوسع، حيث تمت محاولة استكشافية أخرى قام بها الثلاثي دورنو و دوبرة و جوبار،استعد دورنو لاكتشاف الصحراء فاتجه إلى بسكرة و منها إلى تقرت، وهناك التقى بجوبار، و الذي انضم إلى دورنو و دوبرة ، و كان تاجرا بتقرت، و كانت له رغبة في علاقات تجارية مع غدامس و غات[3]، و بعد الاستعدادات اللازمة انطلقت البعثة من تقرت في 01 فيفري 1874 متجهة نحو غدامس، إلا أن أعضاء البعثة تعرضوا للهجوم من طرف سكان الواحات الصحراوية قرب عين الأزهار بين غات و غدامس[4].

2- البعثات الاستكشافية في الصحراء الجزائرية:

وفي نفس الحقبة ظهر مغامرين و مستكشفين اعتبروا من أنشط الرحالة و هم الآباء البيض المبشرين التنصريين الذين استقروا في مدينة غدامس تلبية لنداء الكاردينال لافيجري

[1]- ابراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص 418.

[2]- عبد الرحمن نواصر: مرجع سابق، ص 112.

[3]- أحميدة عميراوي و آخرون: **السياسة الفرنسية...**، مرجع سابق، ص 71

[4]- يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص 82.

Lavigerie من أجل تنصير المسلمين، و قد تعرض الكثير منهم للاغتيال من طرف الطوارق فيما بين (1876-1885م)[1]، وفي عام 1879م قام الثنائي الأب ريتشارد Ritchard و كيرمابون Kermabon بجولة استكشافية للاطلاع على أسرار بلاد الأزجير، تحركت البعثة من غدامس إلى وادي تيكاملت شمال غرب غات، سجل من خلالها معلومات جغرافية مهمة، وربط علاقات ودية مع قبائل الأزجير[2].

ونظرا لنجاح رحلاته التجسسية في المنطقة قام برحلات أخرى حتى وصل إلى غات، حيث انطلق الأب ريتشارد برفقة الأب مورات Morat،بوبلار pouplard إلى غدامس مصحوبا ببعض الشعانبة و أدلاء من طوارق ايمنغاستن[3]، لكنهم قتلوا من طرف الطوارق قرب غدامس 1881[4].

[1]- إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار...**،مرجع سابق، ص 61.

[2]- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص 422.

[3]- يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص 84.

[4]- سعد الله أبو القاسم: **الحركة الوطنية...**، مرجع سابق، ص 409.

المبحث الثالث: التوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري

1-المشاريع الخاصة بخطوط السكة الحديدية:

ظهرت فكرة التخطيط لمشروع السكة الحديدية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من طرف كاباني kapani الذي اقترح مد خط حديدي يمتد من الجزائر نحو بوسعادة وورقلة و عين صالح حتى يصل إلى تمنراست، وتتفرع عنه خطوط ثانوية تربط مدينة طرابلس و تمتد حتى مدينة تونس[1]، و أمر بأن تبدأ الأشغال بهذا الخط في مطلع 1853، لكن الظروف التي شهدتها فرنسا آنذاك و المتمثلة في حروب القرم[2]، لم تسمح لها بتنفيذه، وفي بداية عام 1856 ظهر أحد المهندسين و هو دي بونشيل de duponchel[3] الذي رأى ضرورة ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض بشبكة من الخطوط الحديدية[4]، و نقل القوات بين الشمال و الجنوب[5].

و في سنة 1874م قدم دي بونشيل دراسات أولى أشار فيها إلى فتح خط حديدي عابر للصحراء يسمح لفرنسا بالتوغل داخل الأوطان السودانية و الاستحواذ على تجارتها، ثم انتقل إلى الجزائر ليجمع معلومات هامة حول الصحراء و السودان و نشرها في كتاب سنة

---

[1]- أحمد مريوش: مرجع سابق، ص422.

[2]- حروب القرم: شبه جزيرة تقع في شمال البحر الأسود كانت مسرحا لأحداث هذه الحرب فيما بين 1854 -1856، حرب نشبت بين روسيا من جهة و الدولة العثمانية فرنسا و انجلترا من جهة ثانية، بسبب التنافس على المناطق النفوذ في المنطقة انتهت بهزيمة روسيا و توقيعها على معاهدة باريس سنة 1856، أنظر: أحميدة عميراوي و آخرون: **السياسة الفرنسية ...**، مرجع سابق، ص79.

[3]- دي بونشيل: ولد في فلوراك في 1821م، مهندس أول للجسور و الطرقات نشر عدة أعمال هامة تحتوي على أفكار أصيلة و ممتازة، أظهر فيها المؤلف براعة كبيرة، و من بين هذه الأعمال كتابه حول مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء، الذي ألفت به انتباه الجميع، أنظر: إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص499.

[4]- أحميدة عميراوي و آخرون: **السياسة الفرنسية...**، نفس المرجع، ص ص 79-80.

[5]- أحمد مريوش، نفس المرجع، ص119.

1878م، و لهذا اهتمت الحكومة الفرنسية بتنفيذ المشروع و بدأت في تجهيز برنامج للأشغال العمومية لتدقيق مشروعه[1].

وفي 12 جويلية 1879م قام وزير الأشغال العمومية دي فرايسنييه De freycinet بتأسيس الخطوط الحديدية الصحراوية، و منح 3 مليون فرانك ذهبي لثلاث بعثات علمية لمعرفة قلب الصحراء، و من بين البعثات التي تم اعتمادها رسميا في ديسمبر 1879م التي كان على رأسها الضابط العسكري برتبة الكولونيل و المدعوا "فلاترس Flatters "[2]، و الذي قام برحلتين الأولى من ورقلة إلى الأغواط و تضم هذه الرحلة 10 أعضاء، و تم تعيينهم في ديسمبر 1879م، و انطلقت هذه البعثة في 21 ماي 1880م متوجهة نحو منطقة ميزاب، غرداية، بريان، إلى أن دخلوا إلى الاغواط[3].

ثم نضم رحلته الثانية الى أقصى الجنوب الجزائري لاكتشاف بلاد الطوارق و دراسة مشروع مد خط حديدي عبر هذه الأنحاء، انطلقت البعثة من ورقلة 1880م متوجهة نحو السودان، وقد واجهتهم عدة صعوبات و عراقيل، أدت إلى تفكك صفوفهم لكنهم واصلو مسيرتهم و بدأوا يتصلون بسكان المنطقة، و التقوا بالطوارق الذي بدأوا يتحرشون بهم[4].

و تقابل فلاترس مع الطوارق الذين نصبوا لهم كمينا بجانب بئر الغرامة و وقعت معركة عنيفة بين الطرفين، قتل فيها فلاترس و بعض أعوانه، و لم ينجوا الا القليل الذين رجعوا إلى ورقلة[5]، و بعد القضاء على بعثة الآباء البيض تشجع الكاردينال لافيجري لتدعيم

---

[1]– إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص ص 437–438.

[2]– فلاترس: عاش مابين (1832–1881)، ضابط فرنسي كان في الجزائر منذ سنة 1880، ولي قيادة الفريق الاستكشافي لمشروع السكة الحديدية، كان يتقن اللغة العربية و الطارقية،أنظر: ابراهيم العيد بشي: "دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي"، **مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية**، ع11، الجزائر،2013 ، ص 44.

[3]– أحمد مريوش: مرجع سابق، ص125.

[4]– إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار...**، مرجع سابق، ص63.

[5]– أحمد مريوش: نفس المرجع، ص127.

إنشاء مشروع السكة الحديدية، و قد تمكن إلى حد من إقناع رجال الأعمال الأوروبيين الذين كان لهم شك في نجاح هذا المشروع و الأرباح التي يحققونها منه كتسويق منتجاتهم إلى الشعوب الإفريقية و كل هذا لا يتم إلا بواسطة القاطرة الحديدية المارة عبر الصحراء الإفريقية نحو أوروبا، لذلك نجد العديد من مشاريع السكة الحديدية[1] قد ظهرت بعد ذلك أهمها[2]:

– مشروع بويان لمد ثلاث خطوط حديدية، الأول من تيارت الى المدية، و الثاني من سعيدة إلى رأس الماء و مشرية، و الخط الثالث من مشرية إلى المقرار و الوتيد.

– مشروع الثلاثي دوفيرييه و بروسلار و ماج الذي يهدف إلى إجراء دراسة خاصة لخدمة مشاريع الاتصالات بين الجزائر و السنغال بواسطة القطارات الحديدية[3].

و نتيجة هذه المشاريع كلها كانت في النصف الأول من القرن العشرين، خلق ثلاث خطوط حديدية إلى الجنوب و أعماق الصحراء، تفرغت كلها من الخط الرئيسي الذي يخترق الشمال الإفريقي من مدينة تونس شرقا إلى الدار البيضاء غربا على السواحل المحيط الأطلسي و هي: الخط الأول يمتد من مدينة قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة و تقرت، الخط الثاني يمتد من مدينة البليدة إلى الجلفة عبر المدية، الخط الثالث يمتد من المحمدية إلى بني عباس عبر السعيدة و بشار[4].

إن مشروع إنشاء شبكة الخطوط السكة الحديدية لم يرى النور بل بقي حبر على ورق نظرا للصعوبات التي حالت دون تنفيذه، و أهم هذه العراقيل: وعورة طبيعة الصحراء الجزائرية، وبهاضة التكاليف المادية[5].

---

[1]– أنظر الملحق رقم 04، ص 84 .

[2]– أحميدة عميراوي آخرون: **السياسة الفرنسية...**، مرجع سابق، ص 81.

[3]– يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر...**، مرجع سابق، ص ص 344– 335.

[4]– يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص 98.

[5]– أحميدة عميراوي و آخرون: **السياسة الفرنسية...**، نفس المرجع، ص ص 86–87.

2- الاستغلال الفرنسي للتجارة الصحراوية:

خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي، اشتد التنافس الأوربي بين فرنسا و انجلترا، حيث أسرعت الإدارة الفرنسية بإرسال مغامر آخر في سنة 1896، و هو " المركيز دي موريس Le marquis de mores"[1]، من أجل غزو تجارة الصحراء، لكن السلطات العسكرية بالجزائر لم تسمح له بالتوغل في الصحراء لأنها تدرك خطورة المغامرة، لذلك سافر إلى تونس في سنة 1898 ليتوجه نحو السودان عبر زندر[2] و أغداس ليتعرف عن النشاط التجاري هناك و يحقق أهدافه المتمثلة في ربط علاقات تجارية ما بين إفريقيا البيضاء و إفريقيا السوداء، قبل أن تسيطر عليها الإنجليز[3].

ألقى المركيز محاضرة بعنوان " التوغل في السودان الفرنسي عن طريق العقد الفرنسي الإسلامي"، شرح ضفيها برنامجه و المتمثل في الدخول إلى إفريقيا السوداء عن طريق الصحراء بواسطة التفاهم مع الطوارق، و عقد تحالف متين بين فرنسا و المسلمين[4].

و قد كان لهذه المحاضرة أثر عميق في نفوس الناس من بينهم محمد ابن عثمان الحشائشي[5] الذي وجد في المركيز الشخصية المناسبة للقيام بمهمة التحالف الإسلامي الفرنسي، فاتفق معه على أن يكون رسوله إلى المهدي السنوسي و يحمل له رسالة باسم

1- المركيز دي موريس: اسمه الكامل انطوني أمدو- ماري فانسترو مانكا مركيز دي موريس ، " ANTONIO AMEDEO-maria **vincenze, marquis de morés**" ولد بباريس في سنة 1858، اشتغل في المدرعات، وبعدها الخيالة، ترك الجيش في 1882، اهتم بمشروع مد سكة حديدية في الصين، زار مدينة الجزائر ليواصل مغامرته في إفريقيا، أنظر: إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص448.

2- زندر: إحدى المدن المهمة في النيجر، يقطنها قبائل الطوارق، انظر: محمد سعيد القشاط: **صحراء العرب...**، مرجع سابق، ص88.

3- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، نفس المرجع، ص429.

4- إبراهيم مياسي: **قبسات...**، مرجع سابق، ص88.

5- الحشائشي: هو محمد ابن عثمان الحشائشي الشريف التونسي، ولد بتونس في جويلية 1855، ينتسب إلى الإشراف عرف بذكائه و فطنته ساعده ذلك على اكتساب ثقافة عربية أصيلة في العلوم الدينية و الأدبية، اشتهر بما سجله في الرحلة الاستطلاعية الصحراوية عبر أراضي طرابلس و بلاد الطوارق، أنظر: نفس المرجع، ص97.

المركيز لأنه فضح استغلال اليهود و الانجليز لخيرات العالم، و لذلك زادت شهرته في الأوساط الاستعمارية في الجزائر و من هنا بدأت مغامرته في عبور الصحراء و الاستحواذ على تجارتها، و لقد وقع الاختيار على الحاج علي بن بالقاسم الثني، أحد تجار غدامس على أن يكون مرشد و رفيق مركيز في رحلته[1].

بعدما أعدت شروط البعثة، اتخذ المركيز و الحاج علي طريق غات بجنوب الجزائر، انطلقوا يوم 6 ماي 1896 و أبحروا إلى قابس، و في 10 ماي 1896 رتب الحشائشي أموره ليقوم برحلة إلى واحة الكفرة[2] بصحراء ليبيا و يقصد بعدها الزاوية السنوسية[3] ليعد مقابلة للمركيز مع المهدي السنوسي[4].

انطلق المركيز من تونس إلى قابس، ومنها إلى نفزاوة،وهنا انضم إليه عدة أعوان من بينهم علي السناوي، و بعدما توغل المركيز في الصحراء بدأ يتعرض للتحرشات و ادعى المرشد علي السناوي أنه أضل الطريق، و هو يقود القافلة فوجدوا أنفسهم في تيارت ثم وصلوا إلى الوطية، و ادعوا أنهم في لمشقيق، و في 05 جوان و صل إليهم مجموعة من الطوارق بقيادة الشاوي و أظهروا للمركيز وفاءهم حيث وضعوا قافلتهم تحت تصرفه حتى يصل إلى غات[5].

---

[1]– إبراهيم مياسي: **قبسات...**، مرجع سابق، ص96.

[2]– الكفرة: تقع في الجزء الجنوبي الشرقي من ليبيا تحتضن رمال الصحراء، و هي عبارة عن واحة تسمى بالكفرة، و كانت تحمل اسم تازر، انظر: فرح أمبدة: " **الكفرة... مدينة ليبية تتغذى من الحرب في دارفور**"،ع 1444،05-04-2017. منقول من موقع :www.alriyadh.com

[3]– الزاوية السنوسية: هي زاوية أسسها محمد بن محمد علي السنوسي المهدي من أجل نشر الطريقة السنوسية، استقطبت العديد من العلماء المستقلين الذين أغنوا هذه الزاوية، قد انتشرت في العديد من المناطق في الجزائر و تونس و غيرها من المدن الإفريقية، أنظر: سعد الله أبو القاسم: "**تاريخ الجزائر الثقافي 1830- 1954**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998،ج4، ط1، ص ص 251-252.

[4]– إبراهيم مياسي: **قبسات...**، نفس المرجع، ص 90.

[5]– نفسه، ص 91.

و بعد يوم من ذلك جاءت جماعة من الشعانبة و عرضوا مرافقته إلى غات بدل الطوارق، و أنهم مستعدون لوضع جمالهم تحت إمرته لكن المركيز رفض ذلك فغضب منه الشعانبة، و ما زاد غضبهم أن المركيز لم يبالي بهم، فاتفقوا مع الطوارق على قتله، وبدأوا يتآمرون ضده، لكن إصراره على النجاح جعله يكمل مهمته رغم كل العقبات دون التكهن بسوء نية الطوارق ضده[1].

وقعت حادثة للمركيز حيث سرق منه مهره، فقدم له قائد الطوارق ناقة ثقيلة الحركة، وهنا أدرك المركيز أنه واقع في مأزق و أن مهمته آلت إلى الفشل، وعليه أن ينقذ نفسه، فتوجه مع مرشديه شمالا راكبا ناقته، حتى اعترضه رصاص الشعانبة، فوقعت اشتباكات عنيفة بين الطرفين انتهت بمذبحة قتل على إثرها العديد من الطوارق و الشعانبة و قتل المركيز و بعض رفقائه، و من نجى منهم فر إلى المراكز العسكرية و روى ما حدث، فانتشرت أخبار هذه المذبحة في الأوسط العالمية عن طريق الصحف التونسية حتى كادت أن تصبح مشكلة ديبلوماسية، لكن سياسة التعقل جعلتها مجرد جريمة محلية[2].

3- تجنيد الحملات العسكرية:

إن مقتل فلاترس و رفقائه مهد سلسلة من الإغتيالات للأوروبيين في الصحراء من طرف الطوارق، و منهم الرهبان الثلاثة ريتشار Ritchard ، و بوبلار Pouplard، و مورا Morat في سنة 1881، و الضابط بالا palat عام 1886 والضابط كاميل دول camille douls في 1889، إضافة إلى المركيز دي موريس قرب غدامس سنة1896م[3].

و نظرا لكل هذه الأسباب اهتم الفرنسيون بإنشاء مراكز عسكرية أمامية في أعماق الصحراء خلال عامي (1893 و 1894) للتصدي لهذه الأخطار و لتنظيم عمليات التوسع

[1]- ابراهيم مياسي: **قبسات...**، مرجع سابق، ص 91.

[2]- نفسه، ص ص 92- 93.

[3]- يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص 84.

الاستعماري، كما عملوا على تنظيم حملات و بعثات أخرى إلى الصحراء العربية، و الوسطى، و السودان الأوسط و التشاد[1].

و في هذا الصدد قام فرناند فورو Fernand fourou [2] بتسع حملات إلى الجنوب اخترق فيها الصحراء الكبرى طولا و عرضا، و خلال الفترة الممتدة مابين (1882،1897) كلف فورو من طرف وزارة الأشغال العامة بمهمة الوصول إلى الآبير بالهقار، و ذلك لإثبات قوة فرنسا أمام الطوارق عقب مقتل فلاترس[3]. ففي سنة 1898 عين فورو للقيام بحملة هامة تنطلق من جنوب الجزائر من ورقلة إلى أغداس، ووضعت الحملة بقيادة فورو و الضابط لامي[4] قائدا للحرس عبرت البعثة على بلاد آجر التي رفض رؤساؤها تقديم معلومات عن بلاد الآبير، اتجهت البعثة نحو الجنوب في عام 1899م و اجتازت صعوبة صحراء تانزروفت[5].

في 24 فيفري وصلت البعثة إلى إيغزار Ighezzar أول مدينة للأبير أين شرعت محادثات سكان البلد من الطوارق كال واي للحصول على المؤونة، و بعض الجمال لمتابعة الرحلة نحو زندر[6]، التي وصلتها في 02 نوفمبر 1899 قاطعة بذلك حوالي 2000 كلم عبر

---

[1]– يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص85.

[2]– فيرناندو فورو: ولد في 1850 بسان بار بانت saint barbant ، استقر في الجنوب القسنطيني، و قام بعدة حملات بنجاح لوحده بين سنوات 1888و 1896 في 9 حملات متتابعة في الجنوب الجزائري، انضم إلى بعثته جونتيل، و بعد انتصارهم بكوسري على رابح، إلتحق بساحل إفريقيا الاستوائية ، و حملت البعثة وثائق هامة حول الصحراء الوسطى، توفي بباريس سنة 1914 ، انظر: ابراهيم بتقة، مرجع سابق، ص186.

[3]– يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر...**، مرجع سابق، ص 326.

[4]– أميدي لامي: Amedde lamy ضابط و مستكشف،ولد في سنة 1858 في موجينس Mougins، دخل ال مدرسة سان سير saint cyr، و قبل أن يقوم برحلة العابرة للصحراء رفقة فورو، قام بعدة بعثات و قتل بكوسري في جنوب تشاد، من طرف السلطان رابح سنة 1900، انظر: ابراهيم بتقة: نفس المرجع، ص 186.

[5]– نفسه، ص ص 188–189.

[6]– نفسه، ص190.

صحراء قاحلة و موحشة، فقدت على إثرها الكثير من الجمال بسبب التعب و طول الطريق[1].

وفي أواخر ديسمبر شرعت البعثة في العودة، و خاض الطوارق ضدها معركة كبيرة في أزجير خلال شهر جانفي 1900، و هي معركة أزجير ، و التي خلفت الكثير من القتلى و الأسرى و من بقي منها واصل سيره نحو التشاد، و التقت بحملتي جونتيل و جولاند[2]،و في 22 أفريل 1900 اصطدمت البعثة مع قوات رابح ابن فضل الله[3]، و قتل لامي كما قتل رابح، و من نتائج هذه الحملة إبرام إتفاقية عام 1899 مع الإنجليز لتقسيم القارة فيما بينهم و تجنب الصراع[4].

و هكذا يتضح أن الفرنسيين كانوا شديدي الاهتمام بمنطقة الصحراء الجزائرية عامة و بالهقار و قبائل الصحراء خاصة، و بذلوا محاولات كثيرة و طويلة للسيطرة على كل الواحات الصحراوية، عن طريق تنظيم بعثات و حملات استكشافية للتوسع في أعماق الصحراء، و وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية لتسهيل سبل التنقل في قلب القارة، و فتح المجال لتطوير التجارة الفرنسية داخلها و الاستيلاء على خيراتها كما مهدت حملة فورو و لامي للفرنسيين من احتلال عين صالح و غيرها من الواحات في مطلع القرن العشرين.

---

[1]–يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر...**، مرجع سابق،ص 327.

[2]– رياض زاهر: **كشف إفريقيا**، دار المعرفة، القاهرة، 1961، ص166.

[3]– رابح بن فضل الله: ولد عام 1945 في قرية حلفاية، درس القرآن الكريم، سافر إلى القاهرة التحق بالجيش الخديوي إسماعيل، حيث تدرب على حمل السلاح ، و يعد من أبطال الجهاد ضد الفرنسيين في التشاد الذين اصطدم بهم في 1899، و توفي سنة 1900، أنظر: محمد سعيد القشاط: **أعلام من الصحراء**، مرجع سابق، ص ص 75–77 .

[4]–يحي بوعزيز: **ثورات الجزائر...**، نفس المرجع، ص327.

الفصل الثالث

رد فعل قبائل الطوارق على التوغل الفرنسي في الصحراء

المبحث الأول: مقاومة قبائل الهقار.

المبحث الثاني: مقاومة قبائل الطاسلي (جانت).

المبحث الثالث: ردود فعل الأهالي.

على الرغم من محاولة السلطات الفرنسية إرسال العديد من الحملات الاستكشافية للتوسع في أعماق الصحراء، إلا أن سكان المنطقة وقفوا وقفة صلبة في وجه المستعمر الفرنسي واستطاعوا أن يفشلوا محاولات كثيرة، مما جعل العدو يفكر في طرق ومشاريع أخرى تحقق لهم أطماعهم الاستعمارية من خلال إنشاء مراكز متقدمة في أعماق المنطقة، لكنهم وجدوا صعوبة أمامهم بتصدي ومقاومة قبائل الهقار والطاسلي لهم.

المبحث الأول: مقاومة قبائل الهقار

1- إخضاع قبائل الهقار:

شهدت هذه المنطقة احتلال الفرنسيين للتيديكلت والمناطق المجاورة لها مثل: قورارة وإقليم توات سنة 1900، وهذا الاحتلال مكنها من الاقتراب من الهقار، ولم يبق لها سوى إيجاد ذريعة للتوغل فيها، وقد اتخذوا من تعرض إحدى النساء الطارقيات النبيلات فاطمة بنت بسيس وأخوها محمد للإساءة من طرف بابا ولد تمخلاص، الذي استولى على أمتعتهم وهدّدهم بالقتل ذريعة لملاحقته ومحاولة القبض عليه بعد فراره إلى داخل الهقار، وكل هذه الحوادث كانت فرصة سانحة للقائد الفرنسي كوتنيس Cottenest لاحتلال الهقار، وتحضير أهالي شرق التيديكلت للانتقام من الطوارق الذين كانوا يسلبونهم قوافلهم التجارية[1].

وبناء على هذه الأسباب جهز المقدم كوتنيس فرقة عسكرية بحجة ملاحقة بابا ولد تمخلاص، تضم مجموعة من الشعانبة وبعض المحاربين من سكان التيديكلت، وفي اليوم الثاني من عيد الأضحى انطلقت الحملة مقسمة إلى قسمين، القسم الأول من عين صالح "حاسي أسكسام" من23 مارس حتى 9 أفريل، كان هدف هذه الحملة هو إظهار قوة فرنسا للطوارق حتى تخضع للاحتلال ومعاقبة المخالفين حسب وجهة نظرهم[2].

---

[1]- محمد هقاري: مرجع سابق، ص ص 32- 33.

[2]- ابراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص ص 517- 518.

وفي يوم 26 مارس 1902م علمت البعثة الفرنسية أن قبائل كال مويدير تجمعوا لمواجهتهم وأن قسم منهم ذهب لطلب المساعدة من جيرانهم، مما جعل الفرقة العسكرية تظهر نواياها الطيبة للمصالحة معهم، وعلى إثر ذلك تظاهروا بالسلم، وغيروا سيرهم وتركوا الطريق المستقيم من عين صالح إلى مويدير في إنتظار رد فعلهم اتجهوا إلى "واد بوثا" حتى حاسي الغريس، وخلال هذه المسيرة تمكنت الفرقة العسكرية من مراقبة تحركات كال مويدير، وعدم السماح لهم بالفرار أو تلقي أي مساعدة[1].

وفي 08 أفريل علمت الفرقة العسكرية الفرنسية أن كال مويدير عازمون على منعهم من التزود بالماء من بئر الغريس البئر الوحيد عند أمقيد، لهذا تخلو عن زيارة أمقيد وتوجهوا إلى حاسي أسكسام للتزود بالماء التي وصلوها يوم 09 أفريل وبذلك اقتربوا من أعدائهم، فقام قائد البعثة بتوزيع فرقته لتفتيش المنطقة، وقد احتجزوا عددا من الماعز والحمير، كما تم سجن أحد أعيان الطوارق[2].

أما القسم الثاني فكان من حاسي أسكسام " تيت " من 19 إلى 07 ماي 1902 وهذه الأيام التي قضتها البعثة بحاسي أسكسام سمحت للفرقة من تصفية الوضع والانطلاق إلى تيت، ولم تترك وراءها أي عدو محتمل وبهذا تكون البعثة قد اقتربت من هدفها وهو إخضاع طوارق الهقار، بعد ذلك وصلت البعثة إلى غارات الجنون يوم 20 أفريل وخيمت بها، وفي 23 أفريل خيمت بأريم دهين وبعد رحلة شاقة وصلوا إلى أديلاس التي فتشت منازلها من طرف الفرقة العسكرية، والتي وجدت بها بعض بقايا لبعثة فلاترس لذلك تم هدم المنزل وأقيم مكانه نصب تذكاري تخليدا له[3]، وواصلت البعثة مسيرتها إلى أن دخلت إلى منطقة تين

---

[1]– ابراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص ص 518– 519.

[2]– نفسه، ص 519.

[3]– نفسه، ص ص 519– 520.

ترابين وخيمت بها، وفي ليلة 02 إلى 03 ماي تعرضت للهجوم من طرف مجموعة من الطوارق، فكان الرد عليهم هو ملاحقتهم وقد غنموا منهم بعض الجمال[1].

وفي الصباح 03 ماي انطلقت فرقة من أحسن المهاري بسرعة لتلحق بالطوارق وما بقي منها من السرايا فقد سارت سيرا عاديا من ورائهم، وعثروا في طريقهم على بعض الأشياء من بينها خيمة خضراء تحمل ختم المصنع London Benjamin Edington, Dukert Boro، وقد أكدوا أنها للمركيز دي موريس، وفي 04 ماي وصلوا إلى تارهاوهوات Tarhahaouat فخيموا فيها حتى وصلتهم أخبار عن تعرض الفرقة الأخرى من الجيش الفرنسي للهجوم من طرف الطوارق، فاستمرت البعثة في سيرها عبر طريق العودة إلى التيديكلت في يومي 05 و 06 ماي وهي تعرف أنها محاطة بالرقابة الطوارقية، وفي 06 ماي دخلت البعثة إلى تمنراست وعلمت أن قوة الطوارق تجتمع في حوالي مائتي وتسع وتسعين تحت قيادة ولد عثمان وبعض الأفراد، وكانت هذه التحركات مقدمات لمعركة تيت[2].

2- معركة تيت:

غادرت الفرقة العسكرية مدينة تمنراست يوم 07 ماي باتجاه قرية تيت غرب تمنراست بحثا عن الطوارق[3]، ومن أجل ذلك قام القائد الفرنسي كوتنيس بتوزيع السرايا على المواقع الإستراتيجية لتفتيش المنطقة ووجدوا عددا من الطوارق المجاهدين مسلحين ببنادق سيوف، وبذلك شهدت الحملة العسكرية صعوبة أمامها بعد أن تصدى لها فرسان الطوارق[4].

بعدما نظم مجاهدي الطوارق أنفسهم على شكل فرق تقدموا نحو العدو رافعين أصواتهم بالتكبير لإرهابهم، وبدأوا بإطلاق النار إذانا بانطلاق المعركة واشتد الصراع بين

---

[1]- أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 131.

[2]- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، 521- 522.

[3]- محمد هقاري: مرجع سابق، ص 33.

[4]- أحمد مريوش: نفس المرجع، ص 131.

الطرفين، وتحولت المعركة بالسلاح الأبيض مما اضطر كوتنيس لإعطاء أوامره للفرقة بالتراجع والصعود إلى القرى المجاورة وتهيئة أنفسهم للتصدي لهؤلاء الفرسان، ثم بدأ تبادل إطلاق النار بينهما وقتل بعض أعيان الطوارق وواصلوا إطلاق الرصاص لكن بدقة، لأن الفرقة الفرنسية قد أفرغت نصف ذخيرتها من الرصاص لهذا طلب منها كوتنيس أن تخفف من إطلاق النار[1].

استمرت المعركة بين الطرفين في ظروف صعبة مما أدى إلى تعطيل الطوارق على القتال والتراجع، حيث اعترضت طريقهم من طرف العدو الذي استغل الوضع بكل وحشية على المجاهدين ببنادقهم ضربا على الرؤوس بمؤخرة البندقية فسقط العديد من الطوارق، وفرّ الباقي من شدة تهاطل الأمطار، ولكن رغم ذلك لاحقتهم الفرقة الفرنسية وقتل منهم اثنان وعشرين وغنم بنادقهم واثنان وعشرين مهري[2]، وفي هذه الأجواء انتهت المعركة بعد أن دامت ما يزيد عن الساعتين وانتهت بانتصار كوتنيس ومجموعته على قبائل طوارق الهقار رغم المقاومة والصمود الذي أبداها المقاومون في المعركة[3].

والظاهر أن هزيمة قبائل الطوارق في المعركة كان نتيجة ضعف في القيادة غير الموحدة، كما أنها لم ترسم لنفسها خطا دفاعيا[4]، ويضاف إلى ذلك المكان الذي أجريت فيه المعركة في ميدان مكشوف وأغلب المقاومون كانوا يمتطون الجمال مما سمح للقوات الفرنسية بالانتصار، وحسب التقارير الفرنسية قدرت خسائر معركة تيت بمقتل أكثر من 100 شهيد من قبيلة دق أغالي لوحدها، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من القتلى والجرحى من القبائل الأخرى وتعود هزيمة المجاهدين بالخصوص بعد نهاية حكم القائد الأمينوكال

---

[1] – إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، نفس المرجع، ص 532.

[2] – نفسه، ص 524.

[3] – محمد هقاري: مرجع سابق، ص 33.

[4] – أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 131.

أهيتاغل[1] الذي وافته المنية سنة 1900م قبيل احتلال منطقة الهقار، وكل هذه الأسباب أدت إلى تسهيل مهمة الاستعمار الفرنسي في اختراق صف سكان الهقار[2].

3- عزم فرنسا على التوغل في الصحراء:

بعد محاولة الفرنسيين لإخضاع طوارق الهقار وبعد المقاومة التي شنها المجاهدون من الطوارق ضد السلطات العسكرية في معركة تيت تأكدت فرنسا أن التوسع في صحراء الهقار شبه مستحيل[3]، لهذا لجأت إلى استمالة بعض الأعيان في المنطقة لاستخدامهم عند الحاجة، ولعل ذلك ما فعلته مع الأمينوكال المدعو موسى آق أمستان[4] الذي تولى قيادة الطوارق بعد الأمينوكال الأهيتاغل[5].

قام النقيب كوفي Cauvet قائد ملحقة عين صالح في البداية بإرسال الملازم قيو لهان Guillo Lohan،[6] من أجل ربط علاقات مع موسى آق أمستان لكنه فشل في هذه المهمة لأن الأمينوكال كان مترددا لنوايا الفرنسيين، وهنا تخوفت السلطات الجزائرية ومنعت

---

[1]- أهيتاغل: كان زعيم الهقار في أواخر القرن التاسع عشر خاض حروبا طويلة ضد سلطنة ازجر ليضم أراضيها لسلطنته كيل أغلا، أنظر : محمد سعيد القشاط : **الطوارق عرب الصحراء...**، مرجع سابق، ص 242.

[2]- محمد هقاري: مرجع سابق، ص 33.

[3]- أحميدة عميراوي و آخرون: **السياسة الفرنسية...**، مرجع سابق، ص 53.

[4]- موسى آق أمستان: عاش ما بين (1867- 1921م) ينتسب إلى قبيلة كيل أغلا، حفيد الأمينوكال سيدي آق محمد الخير، نشأ يتيم الأب ولما بلغ من عمره 18 سنة كان يقوم بالعديد من عمليات السلب والنهب ضد القبائل الغنية، وعندما بلغ 25 سنة كان يتحكم في كل الحملات والكل يخضع لأوامره، وكان الأمينوكال أهيتاغل يرى فيه شرف الطوارق، ودّع حياة الغزو وتفرغ إلى تحقيق السلم بين القبائل، أنظر: عزوز المدريدي: **تاريخ وآثار الهقار**، تمنراست، 11-04-2017 منقول من موقع www.khbarbladi.com

[5]- أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 131.

[6]- كما اعتنى قيو لهان بالعمليات العسكرية التي قادها ضد الطوارق أواخر عام 1902 وبداية 1903، فشرح أسباب سيره ضدهم من أول أكتوبر إلى 15 ديسمبر 1902، وأوضح النتائج السياسية والعسكرية والجغرافية التي توصل إليها، أنظر: يحيى بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر...**، مرجع سابق، ص ص 123-124.

أي تحرك ضد الطوارق ما عدا عمليات الرائد لابرين Laperrine التي تعتبر ضرورية وأن تكون تحت قيادته، وقد أسفرت عن قناعة موسى آق أمستان بالاتصال مع النقيب كوفي[1].

كما قامت السلطات العسكرية الفرنسية بتكثيف الحملات الاستكشافية إلى بلاد الطوارق، فقد قام النقيب بان Pein قائد ملحقة ورقلة برحلة استعلامية إلى بلاد طوارق الآزجر في 1903م ليتعرف على أسرار المنطقة، فانطلقت البعثة من ورقلة في 14 جوان من نفس التاريخ وأخذت معها مؤونة شهرين، وبعد أن قامت بمهمتها التجسسية لإعداد الأرضية المناسبة للاحتلال رجعت إلى ورقلة، وهنا اعتقد القائد بان:"أن هذه البعثة برهنت للطوارق بأن صحراءهم التي اعتقدوا أنها بعيدة عنا أصبحت في متناولنا بسهولة"، وقد قام الملازم بيسي Besset بدورة تفقدية من عين صالح إلى أمقيد، كما أعطاه النقيب كوفي الأوامر بالتنقل مع السرية الأولى لكتيبة التيديكلت التي قامت بجولة تفقدية في بلاد الآزجر من عين صالح إلى تيكامار مرورا بأمقيد، حيث انطلقت يوم 06 جوان 1903م[2].

إذن أرادت السلطات الفرنسية إحضار قائد الطوارق موسى آق أمستان إلى عين صالح من أجل التفاوض معه حول إخضاع الهقار لسيطرتها، وبعد فشل كل هذه المحاولات اضطرت فرنسا إلى الاستعانة بشخصية قريبة من الأمينوكال موسى وهو من بني بلدته كان يثق فيه ويطمئن له، وهو القائد الحاج أحمد بيلو (مرابط قبيلة أهل عزي) قائد عين صالح لطلب الصلح مع الأمينوكال، ولذلك قام الحاج أحمد بيلو بالمهمة على أحسن وجه وطيلة رحلته كان الناس يسألونه عن سبب مجيئه إليهم فكان يرد بأنه جاء من أجل عقد السلام بين الطوارق والفرنسيين، فالتقى موسى آق أمستان وأقنعه بهذا الموقف فما كان لهذا الأخير إلا

[1]– ابراهيم مياسي: **قبسات...**، مرجع سابق، ص ص 159– 120.

[2]– نفسه، ص 120.

أن يقبل مصاحبته إلى عين صالح،[1] وعقد فيها وثيقة الاستسلام مع الفرنسيين في 1904 شريطة أن لا تتدخل فرنسا في شؤون قبائل الهقار[2].

لقد كان لتوقيع معاهدة الاستسلام أثر واضح على نشاط الفرنسيين وزادت من قناعة قائد المنطقة الصحراوية الرائد لابرين بضرورة الانتشار في هذا الإقليم[3]، لهذا قام بجولة جنوب ملحقة تيديكلت من 14 مارس إلى 03 جويلية 1904م ليتفقد القبائل التي خضعت للنفوذ الفرنسي[4]، لهذا أخذت هذه الجولة طابع علمي حيث ضمت الباحث فياتي Villatté المهتم بعلم الفلك و المواقع الجغرافية و صاحب معه الملازم بيسي Besset ليهتم بالجانب الجيولوجي للمناطق المستكشفة، و كذلك الملازم بريكونيو Bricogne الذي كان يسجل كل المعلومات اللازمة لكتابة تقرير حول مسار الرحلة، كما أخذ معه الملازم نيجار Nigger المكلف برسم الأماكن ووصف حالتها الطبيعية،[5]ولتحقيق هذه الإستراتيجية تطلب على لابرين إحضار الأب دي فوكو[6] De Foucould، للمنطقة أولا لإتمام مهمة التنصير وثانيا

---

[1]– عبد السلام بوشارب: **الهقار أمجاد و أنجاد**، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995،ص 102.

[2]– أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 131.

[3]– نفسه، ص 132.

[4]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص33.

[5]– يحيى بوعزيز: **اهتمامات الفرنسيين...**، مرجع سابق، ص 61.

[6]– دي فوكو: ولد بمدينة سترامبورغ في فرنسا في سنة 1858م وهو من رواد الاستعمار الفرنسي في الصحراء، دخل كلية سان سير العسكرية تخرج منها سنة 1878 فاشتغل كضابط في الجيش الفرنسي بالجزائر، عرف بغرابة أطواره فطرد من الجيش وبالتنسيق مع الشركة الفرنسية للجغرافيا سافر إلى المغرب الأقصى، ثم انتقل إلى فلسطين وسوريا ليمارس التبشير، ثم عاد إلى الجزائر ليستقر بصحرائها، حيث دخل الهقار وبنى كنيسة بمنطقة الأسكرام شمال تمنراست في سنة 1905، وجعلها نواة لنشر مبادئه المسيحية اندمج مع سكان المنطقة وقضى معظم أوقاته في التقرب من الطوارق ليتعلم منهم اللهجة الطارقية، فأنجز معجما من الفرنسية إلى الطارقية ومن الطارقية إلى الفرنسية، وأشهر أعماله التبشيرية، التمركز بين فصائل القبائل الطرقية، و تحبيب في نفوسهم مبادئ المسيحية، كما أنه استغل المجاعة التي حلت بتمنراست، حيث عمل على كسب ود السكان بتوزيع القمح والشعير على النساء والأطفال، أنظر: أحميدة عميراوي وآخرون: **السياسة الفرنسية...**، مرجع سابق، ص ص 111– 125.

لخدمة مخططه العسكري الذي أعده لمنطقة الهقار، والذي احتاج فيه إلى رجل يثق فيه فاختار دي فوكو بحكم الصداقة التي كانت تربطهما[1].

أما القوات العسكرية التي رافقته فكانت مكونة من عدة كتائب منها كتيبة توات وكتيبة تيديكلت وكانت تحتوي قافلتهم على 150 دابة (جمال، أحصنة، بغال، حمير) لتحمل رجال القافلة وبضائعهم، انطلقت البعثة يوم 14 مارس لتتوجه نحو الجنوب الشرقي من تيديكلت لتتعرف على مناطق الطوارق، وتبين لهم اهتمام الفرنسيين بهم ولهذا حاول لابرين الاتصال بزعيم الطوارق موسى آق أمستان، لكن لم تسمح له الفرصة بملاقاته لأن موسى غادر المكان منذ شهر، ومع ذلك واصلت القافلة رحلتها الاستطلاعية إلى أن رجعت إلى عين صالح في 03 جويلية 1904، ومن خلال الجولة الاستكشافية التي قام بها لابرين مكنته من تسجيل عدة نتائج أهمها: حالة السكان وموقفهم من الوجود الفرنسي بينهم، وتأكد من أمن الطرق الصحراوية وإمكانية إنشاء بعض المراكز العسكرية بالهقار[2].

[1]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص 33.

[2]– إبراهيم مياسي: **قبسات**...، مرجع سابق، ص 124.

المبحث الثاني: مقاومة قبائل الطاسلي (جانت)

1- إخضاع قبائل الطاسلي (جانت):

قامت السلطات العسكرية الفرنسية باستكشاف أرجاء منطقة جانت قبل الهجوم عليها عن طريق تنظيم بعثات استكشافية من طرف فرق عسكرية تحت قيادة الضابط توشار Touchard قائد دائرة تقرت، الذي قام بجولة عند قبائل إيفوغاس Ifoghas فتعرف عليهم وتقرب منهم، وادّعى أن مهمته هي تسوية الصراع القائم بينهم وبين الشعانبة حول مشكلة اختطاف الجمال التي حصلت بينهما[1]،وبعد أن بسطت السلطة الفرنسية نفوذها بمنطقة الهقار حاولت القوات العسكرية التغلغل في منطقة جانت في أول مسعى لها سنة 1908م، غير أن الدفاع والمقاومة من طرف أهل الطاسلي بقيادة الشيخ آمود بن مختار[2]خيبت آمالهم لأنه أصر على رفض معاهدة الصلح التي عقدها موسى آق أمستان مع السلطات الفرنسية 21 جانفي 1904، وأعلن إصراره على مواصلة الجهاد ضد المحتل وقال مقولته الشهيرة:"...لن أضع يدي في يد الكفار لأنني أقسمت بالله ألا أنظر إليهم إلا بالقتال..."[3].

وفي سنة 1909م رجعت القوات الفرنسية بعتاد وعدة كبيرة وتمكنت من الدخول إلى جانت، وعلى إثر ذلك لجأ الشيخ آمود ومن معه من المحاربين إلى قمم جبال الطاسلي، ثم ظهر بعد ذلك في الأراضي الليبية مقاتلا ومحاربا مع أتباع الطريقة السنوسية في جهادهم ضد الاستعمار الايطالي، ضنا منه أن تضامنه ومساعدته للمجاهدين في ليبيا قد يساعده

---

[1]- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص 543

[2]- الشيخ آمود بن مختار: ينتسب إلى قبيلة إيمنان التي استوطنت منطقة جانت آتية من الساقية الحمراء ووادي الذهب استطاع أن يتزود بالعلم والمعرفة، فقام بعدة رحلات علمية منها رحلته إلى مدينة تمنراست وعين صالح، وهذا ما جعله محط أنظار سكان قبائل الطوارق الذين التفوا حوله حين ناداهم إلى الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي في المنطقة، وقد ألحق عدة هزائم بالجيش الفرنسي في الجزء الشرقي من الصحراء الجزائرية، ومن أهم معاركه: معركة جانت 1909م، إضافة إلى معارك أخرى في عين صالح وتمنراست وعين إيمجن1916م، وسانده في هذه المعارك الطريقة السنوسية، أنظر: بشير بلاح: **تاريخ الجزائر المعاصر(1830- 1989م)**، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ج1، ص208.

[3]- عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص ص 103- 104.

في زيادة تعاونهم معه في المستقبل لمحاربة القوات الفرنسية والتخلص من استعمارها لأراضي الجنوب الجزائري[1].

قام الشيخ آمود بدعم من أتباع الطريقة السنوسية بمحاصرة القوات الفرنسية في واحة جانت سنة 1911م، فوقعت معركة ضارية في المكان المسمى إيسولان لأن المقاومين شددوا الحصار على منطقة جانت ولم تدم مقاومة الفرنسيين طويلا، فانهزمت أمام قوة الثوار مما أدى بالقوات الفرنسية إلى الخروج من جانت بعد تكبيدهم خسائر فادحة، وبعد ذلك دخل الشيخ آمود واحة جانت منتصرا، وفي سنة 1912م اتجه نحو غات إلى الأراضي الليبية واستقر هناك[2].

3- معركة إيسين:

خلال سنة 1913م رجع الشيخ آمود من الأراضي الليبية إلى منطقة إيسين بعد سماعه عن الظلم والتعسف الذي مارسته القوات العسكرية الفرنسية ضد قبائل الطاسلي[3]، في 23 مارس تلقى الملازم قاردل Gardel من الكتيبة الصحراوية بتيديكلت الأمر بالقيام بجولة استكشافية مع أربعين جندي صحراوي، وفي هذه المهمة التقى قاردل مع النقيب شارلييه Charlier بجانت، كما وصلته أخبار أن حركة المجاهدين تجتمع في غات تحت قيادة الشيخ آمود وتستعد للهجوم على جانت، وفي 07 أفريل وصل إلى جنوب إيسين "تين ألكوم" حيث وصلته برقية من النقيب شارلييه يحذره من الوقوع في معركة ضد المجاهدين وآمره بالرجوع، لكن قاردل أصر على مواصلة سيره إلى إيسين لمعرفة الأخبار الصحيحة، وفعلا استطاع هذا الملازم الحصول على بعض المعلومات عن تحركاتهم[4].

---

[1]- عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص 104.

[2]- ابراهيم العيد بشي: مرجع سابق، ص 34.

[3]- نفسه.

[4]- ابراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي...**، مرجع سابق، ص 537.

عزمت البعثة على الرجوع من إيسين إلى تين ألكوم أين تلقى قاردل برقية أخرى من النقيب شارلييه يؤيده فيها على مواصلة رحلته، وسمح له بإرسال دوريات لجمع المعلومات والأخبار من إيسين والمناطق المجاورة لها من أجل معرفة تحركات الثوار مع أخذ الحيطة والحذر وتجنب الوقوع في معركة مع العدو، وبعد أن خيّم الملازم قاردل في تين ألكوم تمكن من الوصول إلى إيسين ودخل في اشتباك مع المجاهدين ووقعت معركة شرسة في إيسين استمرت حوالي 14 ساعة أين فقدت القوات الفرنسية العديد من جنودها، وحسب التقرير الفرنسي فإن حركة الثوار دخلت المعركة بقوة تتراوح ما بين 200 و 250 رجل، فانسحبت القوات العسكرية الفرنسية بصعوبة نحو تين ألكوم[1].

وباندلاع الحرب العلمية الأولى عام 1914م أوجد الطوارق لأنفسهم فرصة لتكثيف مقاومتهم السياسية والعسكرية، حيث تمكن السنوسيون من طرد الايطاليين من إقليم فزان الليبي، واضطرت قواتها في غات وغدامس إلى الهروب نحو الأراضي الجزائرية، وقد قام الفرنسيون بتسهيل التزود بالمؤونة والأغذية للايطاليين والعودة بعد ذلك إلى الأراضي الليبية على أمل أن يكونوا حاجزا ضد الأخطار التي تتعرض لها القوات الفرنسية من واحات الصحراء الجزائرية والجنوب التونسي[2].

وقد قام الطوارق بالتعاون مع المقاومين السنوسيين، وانضموا إليهم لمقاومة النفوذ المسيحي في المنطقة وتزعمهم خليفة بن عسكر مقدم السيد عابد السنوسي[3] الذي قام بتكوين خلية من المجاهدين مع مجموعة من أصدقائه المخلصين واتفق معهم على الثورة، ثم تمركزوا في المنطقة الممتدة بين الذهيبات، زواوة، وطرابلس، وتعاون معهم الشيخ صوف

---

[1]– ابراهيم مياسي: **قبسات...**، مرجع سابق، ص 128.

[2]– يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر...**، مرجع سابق، ص 57.

[3]– محمد عابد السنوسي: كان دوره في الجنوب متذبذبا بين محاربة الايطاليين ومهادنتهم حاول تسليم الكفرة، ولكن المجاهدين رفضوا اقتراحاته فارتحل إلى بوركو 1930م حيث توفي هناك، أنظر: محمد سعيد القشاط: **الصحراء تشتعل (1899– 1931م)**، دار الملتقى، 1998،ط1، ص 80.

المحمودي رفقة الزعيم سليمان الباروني، وبدأوا يشنون هجومات على المراكز العسكرية الفرنسية في منطقة الحدود التونسية خاصة مركز الذهيبات قرب طاطوين ومركز بئر غمتشة وعلى قوافل فزان وذلك طوال عام 1914م وأوائل 1915م، وكان الفرنسيون قد حشدوا معظم قواتهم عند الحدود الجزائرية الليبية منذ أواخر سنة 1914م حتى يتصدوا لما كانوا يتوقعونه من أحداث[1].

وفيما بين 18 و 22 سبتمبر 1915م قام هؤلاء المقاومون بالهجوم على المراكز الفرنسية وقطعوا خطوط الهاتف، وتعرضوا لقوافل التموين الفرنسية، وهاجموا مركز بئر غمتشة، واستولوا على ما فيه من مؤونة وأغذية وبعض الأسلحة والذخائر، وفي 02 أكتوبر هاجم حوالي 2000 مجاهد مركز أم سويقة شمال الذهيبات، واصطدموا بالقوات العسكرية الذين كانوا تحت قيادة الضابط ميراندا Mirand، كما اصطدم الثوار بقوات الرماة في معركة حامية وقتل لهم 40 جندي، وقتل منهم 120 رجلا[2]، وفي يوم 15 أكتوبر وقعت معركة أخرى في وزان جنوب معسكر الذهيبات الذي انسحبت إليه القوات الفرنسية واعتصمت به، وقد قتل عدد كبير من الطرفين بينهم 150 من المجاهدين، واضطر الفرنسيون أن يركزوا قوات احتياطية في كل من الوادي، تقرت، وعين صالح، تهيئا للطوارئ والحوادث واستعدادا لمواجهة التمردات المختلفة[3].

3- التحالفات الطارقية في مقاومة المستعمرين:

لقد استفادة الطوارق من مناوئة السنوسيين للاستعمار الفرنسي لذا تحالفوا مع الحركة في دعوتها للجهاد، وحققوا انتصارات كبيرة في المنطقة وكسبت من خلالها غنائم كثيرة، وكل هذا مكنها من مواجهة المراكز الفرنسية بالصحراء الجزائرية من أجل الحصول على النصر،

---

[1]- يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**...، مرجع سابق، ص 57.

[2]- ابراهيم مياسي : **الاحتلال الفرنسي**...، مرجع سابق، ص 540.

[3]- يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**...، نفس المرجع ، ص 57.

وفي بداية خريف 1915م قامت السلطات الفرنسية بتوزيع قواتها على إقليم الواحات في الحدود الجنوبية الشرقية وفي الشمال، كما عملت على تكوين فرقة متحركة على الحدود الطرابلسية[1].

وقد أنشأت السلطة العسكرية الفرنسية كتيبة صحراوية جديدة في ورقلة لمعالجة الوضع الخطير على القوات الفرنسية المتواجدة على طول الحدود الشرقية من الوادي إلى غدامس ثم جانت، حيث أرسلت السلطة الفرنسية جواسيسها إلى غدامس من أجل مراقبة الوضع ومعرفة تحركات السنوسيين، كما أرسلت أيضا بعثة أخرى إلى غات ومرزق لمقابلة قيادة السنوسي التابعين لسي محمد العابد[2]، وأمام هذه التجهيزات علم الشيخ آمود بالتحركات الفرنسية فقام بجمع عدة كتائب في غات، وأشرف على توفير كل ما يحتاجه من أسلحة ورشاشات ومدافع وأعداد معتبرة من الذخيرة، وتوجه بها نحو مدينة جانت استعدادا لضرب القوات الفرنسية، وفي هذه الأثناء تجهز الضابط لابرين قائد مركز جانت وتحصن بالبرج العالي بسفح الجبل[3].

ومن أجل حصار جانت قامت فرقة المجاهدين بالتمركز عبر الواحات يوم 04 مارس 1916م، وحاصروا المعسكر الفرنسي وطلبوا من القائد لابرين الاستسلام لكنه رفض، فاضطر الثوار إلى قذف الحصن واستمرت لعدة أيام وبعد نفاذ قوة الفرنسيين اضطر قائدهم إلى طلب المساعدة من الحاميات الفرنسية المجاورة لكنها لم تصل في الوقت المناسب، فلاذ القائد لابرين بالفرار مع من بقي من جنوده[4]، وفي هذه الليلة وصل ديكلو Duclo إلى المدينة وأمر بمواجهة السنوسيين من الجهة الغربية لجانت، لكنه تفاجئ بوجود مدفعين للمجاهدين في هذه الجهة، فأطلقوا النار على مجموعته فسقط العديد بينما فرّ هو وأتباعه،

---

[1]– إبراهيم مياسي: **قبسات**...، مرجع سابق، ص 131.

[2]– نفسه، ص 132.

[3]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص 31.

[4]– عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص 107.

وبذلك تم تحرير جانت واستعادتها من طرف السنوسيين، وبعد ملاحقة الطوارق للقائد لابرين تم إلقاء القبض عليه[1].

وبعد كل الأحداث التي حصلت قررت السلطة الفرنسية وضع مخطط آخر لاسترجاع واحة جانت، وفي شهر أفريل تمت محاصرة مدينة جانت من الجهة الغربية والشرقية والشمالية، وانطلقت المعركة بين الثوار والفرنسيين استطاعت خلالها القوات الفرنسية التغلب عليهم، وانتهت المعركة بانسحاب المجاهدين نحو غات واسترجاع جانت من طرف الفرنسيين في ماي 1916م، لكن انسحاب الثوار لم يكن غرضه الاستسلام ولكن لتنظيم صفوفهم من أجل قيام بعدة عمليات لاستهداف برج بولينياك[2].

أما في جنوب الهقار فقد قام السي العابد السنوسي بإرسال الثائر الطارقي كاوسن[3] إلى الزعيم الطارقي موسى آق أمستان يطلب منه الانضمام إلى المقاومة الشعبية والتخلي عن ولائه للفرنسيين، لكنه رفض طلب السنوسي، وهذا ما دفع بالقائد كاوسن للهجوم ومحاصرة المعسكر الفرنسي برفقة عدد من الثوار، أسفر هذا الهجوم على إخلاء جانت وجميع الأجزاء الجنوبية للطاسلي، ومن خلال هذه العمليات خسر الفرنسيون العديد من الأسلحة والرجال، وأصبح الطريق مفتوحا أمام السنوسيين نحو الهقار[4].

وقد امتدت العمليات العسكرية للمجاهدين ضمن الحركة السنوسية إلى الهقار، وهذا رغم اعتماد الاستعمار الفرنسي على موسى آق أمستان في تمثيل نفوذها بالإقليم، فقد أقدمت مجموعة من الثوار بأمر من القائد كاوسن على تنفيذ عملية تاريخية هي قتل الراهب

---

[1]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص 32.

[2]– نفسه، ص 32.

[3]– كاوسن: يسمونه كاوسين وهناك من يسميه كوش، ولد بقرية دمرقو حوالي عام 1880م، ينتسب إلى قبيلة إيواليمدن، تعلم على يد فقهاء الدين وحفظ القرآن، انتقل إلى الشرق وتلقى ورود الطريقة السنوسية، قاتل ضد الفرنسيين واجتمع مع المجاهدين الليبيين وخاض الحروب تحت قيادتها، توفي في واحة أم العضام شرقي مرزق سنة 1919م، أنظر: محمد سعيد القشاط: **أعلام من الصحراء**، مرجع سابق، ص ص 191–192

[4]– أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 138.

الجاسوس "شارل دي فوكو" بتمنراست أمام باب قلعته التي يقيم ويتحصن بها، واستعانوا بموزّع البريد الذي انخدع به وفتح الباب ومدّ يده ليتناول البريد فجذبه من يده إلى خارج القلعة، وهنا انقض عليه الثوار في 01 ديسمبر 1916م[1]، و هناك من يقول أن الثوار اقتحموا البرج للبحث عن السلاح، فوجدوه في البرج يتعبد فلم ينتبه لوجودهم فكبلوه وكلفوا الشاب الذي معهم بحراصته، وأمام مقاومة دي فوكو لفك وثاقه أطلق عليه الحارس النار فأرداه قتيلا ولا تزال أثار الرصاص ظاهرة على جدار البرج[2].

[1]– يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**...، مرجع سابق، ص 63.

[2]– عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص 125.

المبحث الثالث: ردود فعل الأهالي

1- إستمرار المقاومة أثناء الحرب العالمية الأولى:

لقد تمكن قبائل الطوارق من اكتساب خبرة ومعرفة في إيجاد الخطط التي تعرقل التوسع والتوغل الفرنسي، وذلك من خلال تعاملهم مع القوات الاستعمارية وتوسيع الرقعة الجغرافية التي تدور عليها المعارك واعتماد زعيمهم الشيخ آمود على أسلوب الكر والفر وتجنب الدخول في مواجهات مباشرة مع العدو، ونتيجة لهذه الاستراتيجية في المقاومة تكبد الجيش الفرنسي خسائر فادحة، كما قسم المهام العسكرية وأعوانه، فعلى منطقة عمر إدريس عيّن كل من القائدين الشيخ العايب من قبيلة ايفوغاس بمساعدة أخيه "حبه تول"[1].

ومن أهم المعارك التي قادها هذان القائدان: معركة تازروفت 1917م وتابنكورت ووادي أوال، أما على منطقة إليزي وضواحيها فقد عين كل من ابراهيم أق أبكدة[2] والشيخ التومي، وأولى معارك لهم وادي إيميهرو وتين هضان التي سقط فيها العديد من الثوار وإلقاء القبض على سبعة من أعيان مدينة إليزي وإعدامهم ودفنهم في قبر جماعي[3]، كما وقعت معارك أخرى بين منطقة جانت وسلسلة جبال الهقار بقيادة أبة غابلي أشهرها وادي تهران التي انتهت باندحار القوة الفرنسية ومعركة تي هاوهاو بقيادة متينة شبكي التي انسحب فيها

---

[1]- غربي الغالي: "ملامح من مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، **مجلة الرؤية**، ع. 1، 1996، ص111.

[2]- ابراهيم أق أبكدة: من القادة البارزين الذين عرفوا بمقاومتهم الشديدة للمستعمر في منطقة الطاسلي، وقد استطاع بفضل شجاعته وذكائه أن يكتسب نفوذا قويا لدى قبائل المنطقة، وهذا ما جعله يمثل أكبر معارض مقاوم للاستعمار الفرنسي ومن أشهر المعارك التي خاضها وحقق فيها انتصارات نذكر معركة عين الحجاج ومعركة تندوف، أنظر: عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص105.

[3]- غربي الغالي: نفس المرجع، ص 111.

الضابط الفرنسي لي كيتو Le Quito، والتجأ إلى برج فلاتيرس بعد أن ترك وراءه 20 قتيلا[1].

ومن بين المعارك البارزة التي جسدت رد فعل سكان الهقار ضد الفرنسيين وسياستهم في المنطقة معركة إيلامان Ilaman في سنة 1917م[2]، التي وقعت في منطقة إيلامان وهي عبارة عن واد ضيق يقع بين مرتفعات جبلية كبيرة وهو لا يبعد عن مدينة تمنراست، ومن أهم الأسباب التي دفعت بأهالي الهقار للثورة والقيام بهذه المعركة نذكر:

– استجابة قبائل الهقار للدعوة السنوسية الهادفة لطرد الكفار من بلاد المسلمين.

– تبيان قدرة الطوارق على فك الحصار الذي فرضته السلطات الفرنسي على منطقتهم لتبقى بعيدة عن مجريات الحرب العالمية الأولى.

– بغية الانتقام من الفرنسيين الذين فرضوا سلطتهم على القبائل وقطعوا عنهم التموين بغلقهم للأسواق مثل: سوق تيديكلت[3].

ومن أجل خوض هذه المعركة تمكنت القبائل المتمردة من تعبئة العديد من المجاهدين، استطاعت بفضلهم الانتصار والقضاء على القوات الفرنسية وتكبيدهم خسائر كثيرة، وهذا الانتصار بيّن مدى قوة قبائل الهقار وقدرتهم على مقاومة الفرنسيين في منطقة الأزجر[4]، و قد شهدت منطقة عين الحجاج معركة ضارية سميت بمعركة بئر تبلبالت في سنة 1917م بين الفرنسيين والثوار الطوارق بقيادة إبراهيم أق أبكدة، حيث انهزمت فيها

[1]– أحميدة عميراوي وآخرون: **السياسة الفرنسية...**، مرجع سابق، ص 54.

[2]– عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص 103.

[3]– محمد هقاري: مرجع سابق، ص 35.

[4]– نفسه.

القوات الفرنسية وقتل العديد من المجندين في الجيش الفرنسي، كما استشهد بعض المقاومين وأسر المجاهدون العديد من الفرنسيين وتحصلوا على الكثير من الأسلحة والجمال[1].

وهكذا لم تتوقف ردود فعل سكان الهقار من التواجد الفرنسي، حيث استمرت هذه الهجومات على شكل حرب العصابات ضد قوافل التموين الفرنسية بالمنطقة وذلك خلال سنة 1918م[2]، وفي نفس هذه السنة رجعت الجيوش الفرنسية بكل قواتها وأسندت المقاومة في منطقة الهقار إلى الملازمين" قارديل" و" شارلي"، فانهزم الأول في معركة جانت التي تضرر فيها العديد من المدنيين، وهنا طلب الشيخ آمود من الأهالي الخروج من الواحة[3]، وبحلول عام 1919م قامت السلطات الفرنسية بعقد لقاءات كثيرة مع المتمردين عليها من الطوارق حيث تضمنت هذه اللقاءات احتفاظ الطوارق بسلاحهم وعدم ملاحقتهم، كما التزم الفرنسيون بترك الطوارق أحرارا في منطقتهم[4].

وفي سنة 1920م حاولت القوات الفرنسية نصب كمين للشيخ آمود بمنطقة أسكاو، إلا أنها لم تفلح واشتبكت معه في معركة كانت من أشد المعارك ضراوة إذ دامت أكثر من 15 يوما، كان من نتائجها تشرد الكثير من الأهالي مما اضطر الشيخ آمود إلى التفكير بإيجاد مخرج لهذا النزيف الهائل، فعمد إلى استشارة أحد مساعديه إبراهيم أق أبكدة وبعض أعوانه، ثم عرض على إبراهيم أن يعقد صلحا مع العدو الفرنسي[5]، وقال له: "إن فرنسا إضافة إلى قوة سلاحها، معها إخوان لنا متمرسون على تسلق الجبال والقتال بها، ونحن قل عددنا وضعفت شوكتنا"، كما أمر من أحد أعوانه العودة بالأهالي إلى جانت وخاطبه قائلا: "عد إلى جانت فإن فرنسا إذا رأتك مع هؤلاء الأهالي سوف تنصبك قائدا على المنطقة

---

[1]– إبراهيم العيد بشي: مرجع سابق، ص 37.

[2]– يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**...، مرجع سابق، ص 65.

[3]– عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص104.

[4]– إبراهيم العيد بشي: نفس المرجع، ص 35.

[5]– نفسه،35.

وستكون فيها رحمة على هؤلاء المساكين"، ومنذ هذا التاريخ بقيت فرنسا مسيطرة على منطقة جانت إلى غاية 1962م[1].

2- نتائج ردود فعل سكان الهقار:

لقد أسفر عن ردود فعل القبائل المتمردة جملة من النتائج يمكن حصرها فيمايلي:

1- تضامن قبائل الطوارق مع بعضها البعض لمقاومة التوسع الفرنسي الذي كان هدفه الهيمنة على كامل التراب الوطني من الشمال إلى الجنوب.

2- ترسيخ التلاحم الوطني في أوساط سكان الهقار و رفض مشروع التقسيم الإقليمي الذي قامت به فرنسا[2].

3- تصدي الطوارق لسياسة الإلحاق الديني و الثقافي، و رفضهم لها[3].

4- تعاون الهقاريين مع حركة الجهاد الإسلامي الذي قادته الحركة السنوسية الرافضة للسيطرة الاستعمارية، في الأراضي الليبية و الجزائرية[4].

5 – تثبيت الطوارق للحدود الجزائرية عبر الجنوب الكبير و تمسكهم بأرضهم و استقرارهم بها، و كل ذلك ساعد فيما بعد على ترسيم الحدود الإقليمية مع البلدان المجاورة.[5]

و هكذا اشتهر قبائل الطوارق بمقاومة الغزو و التوسع الفرنسي الأوربي للصحراء، وواجهوا بالعنف كل المغامرين و المخبرين الفرنسيين الذين حاولوا التغلغل في بلادهم الصحراوية الواسعة.

---

[1]- عبد السلام بوشارب: مرجع سابق، ص ص 104- 105.

[2]- أحمد مريوش: مرجع سابق، ص 105.

[3]- غربي الغالي: مرجع سابق، ص 105

[4]- يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر**...، مرجع سابق، ص 67.

[5]- أحمد مريوش: نفس المرجع، ص 141.

خاتمة

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي قمنا بها توصلنا إلى بعض الإستنتاجات نذكرها في النقاط التالية:

1- تعتبر الصحراء الجزائرية قلب العالم لما تحتله من موقع إستراتيجي هام، فهي بمثابة الجسر الطبيعي الذي يربط الأجزاء الشمالية مع الجنوبية، والشرقية مع الغربية، لهذا اهتم بها الفرنسيون ودعموا الكشوفات الجغرافية، تمهيدا للتوسع الإستعماري فيها.

2- إن إدراك السلطات الإستعمارية الفرنسية لأهمية الصحراء بالنسبة لباقي مستعمراتها، هو ما جعلها تسعى منذ بداية إحتلالها للجزائر إلى التوسع بإتجاه الجنوب، فحتى قبل إكتشاف ثروات الصحراء أولى الفرنسيين وخاصة المستكشفين أهمية كبيرة لإكتشافها بإعتبارها معبرا تجاريا يربط بين عدد من الحواضر والمدن الإفريقية ذات الأهمية الإقتصادية.

3- إن الهدف الأساسي الذي دفع بالفرنسيين لإحتلال الصحراء هو الغزو والتوسع الإستعماري الذي بدأ بالإستكشاف للتعرف على هذا المحيط الواسع، بالإضافة إلى محاولة وضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية والبرية، وأسلاك الهاتف لتسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة للقوات العسكرية والمغامرين بين مختلف المناطق الصحراوية.

4- ومن الدوافع الفرنسية الأخرى لإحتلال الصحراء سعيها للقضاء على الثقافة الإسلامية من خلال نشر التعاليم المسيحية وتمسيح المؤسسات الدينية.

5- إهتم الفرنسيون بدراسة منطقة الهقار وقبائل الطوارق من نواحي عديدة عن طريق تنظيم حملات عسكرية وبعثات إستكشافية للتوسع في أعماق الصحراء، حيث بذلوا محاولات كثيرة للسيطرة على كل الواحات الصحراوية.

6- إن حاجة القوات الفرنسية في الغزو والتوسع إلى جنوب الصحراء جعلتها تهتم بموضوع إنجاز مشاريع خطوط السكة الحديدية من أجل ربط مستعمراتها المختلفة ببعضها البعض، وخدمة تجارتها وفتح الأبواب لها في كل أسواق إفريقيا.

7- لقد تعرض الإستعمار الفرنسي خلال مرحلته التوسعية إلى هجومات من طرف قبائل الطوارق، أدت إلى إفشال كل الحملات العسكرية والبعثات الإستكشافية والوقوف دون الوصول إلى أهدافها.

8- بعد الثورات والإنتفاضات الشعبية التي شنها المجاهدون الطوارق ضد القوات الفرنسية، جعلها تتأكد أن سيطرتها على المنطقة شبه مستحيل، لذا أسرعت إلى إتباع خطط جديدة تساعدها على التغلغل في الجنوب الجزائري.

9- إن عزم فرنسا على التوغل في منطقة الهقار والطاسلي، أدى إلى نشوب عدة معارك ضارية بين الطرفين تكبدت خلالها فرنسا عدة خسائر حالت دون تحقيق هدفها بسرعة.

10- كان لتجند كل قبائل الطوارق في مقاومة الفرنسيين، وتدعيمهم للجهاد المقدس الذي دعت إليه الحركة السنوسية أثناء الحرب العالمية الأولى، بيّن أن الفرنسيين واجهوا من خلال هذه المقاومة خصما عنيدا خلق لهم صعوبات كثيرة عرقلت حركتهم التوسعية.

11- لعامل إتساع الحدود الجغرافية، وكذلك لقلة وسائل الإتصال، كان لهما الأثر المباشر على ضعف التنسيق بين أجنحة المقاومة (الآجر والهقار)، وعلى نوعية وفعالية المعارك التي اتخذت طابع الكرّ والفرّ، إضافة لقلة العدد والعتاد، وإلاّ لكان للمقاومة الطارقية كلمتها التي تكلّف الفرنسيين من المعانات والخسائر أضعاف ما تكبدوه.

12- بالرغم من ذلك تبقى ملاحم المقاومة في الهقار والطاسيلي من أهم ملامح كفاح الشعب الجزائري التي عبّر من خلالها عن رفضه للإستعمار الفرنسي وتمسك سكان المنطقة

بإنتمائهم لهذا الوطن وإستعدادهم للدفاع عنه بكل ما يملكون ومهما كلفهم ذلك من تضحيات.

الملاحق

الملحق رقم 01

المصدر: أحميدة عميراوي و آخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص153.

الملحق رقم 02

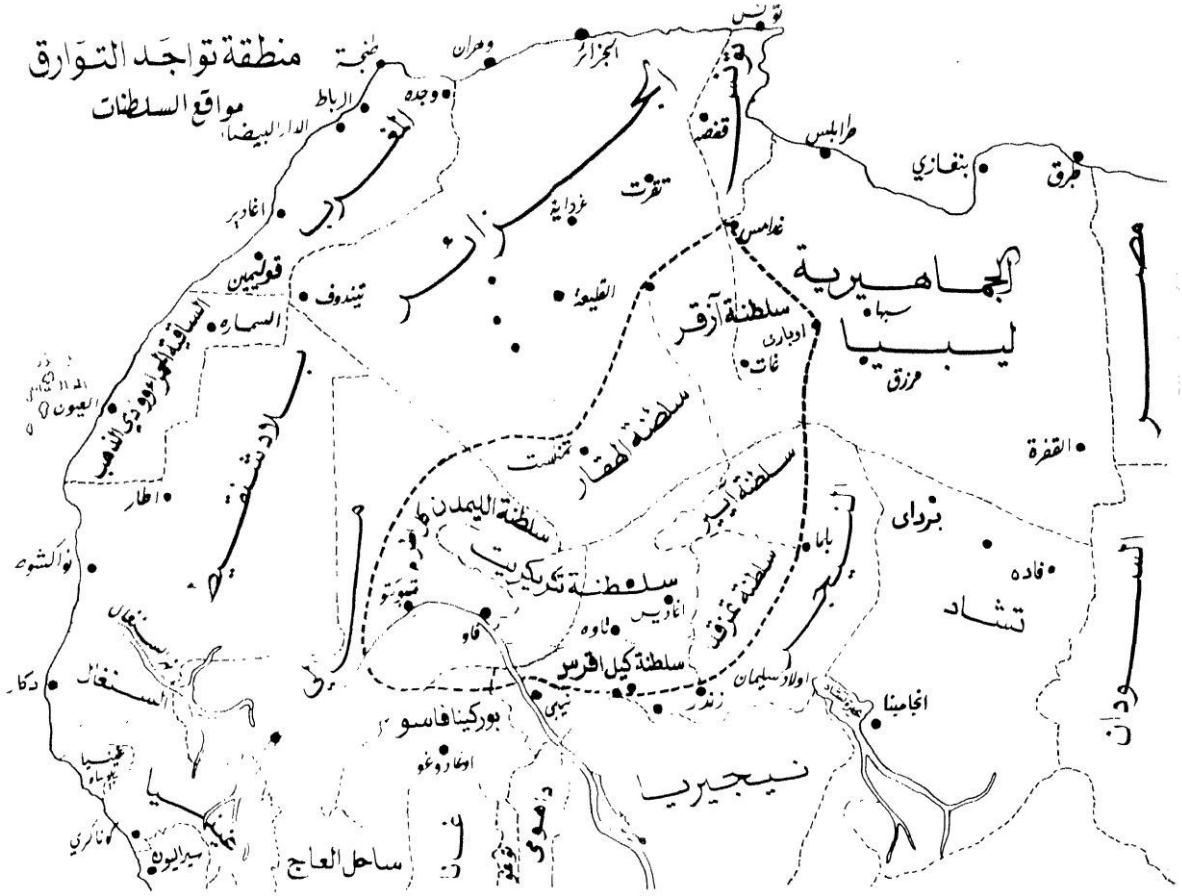

المصدر: محمد سعيد القشاط: الطوارق عرب الصحراء الكبرى، مرجع سابق، ص 18.

الملحق رقم 03

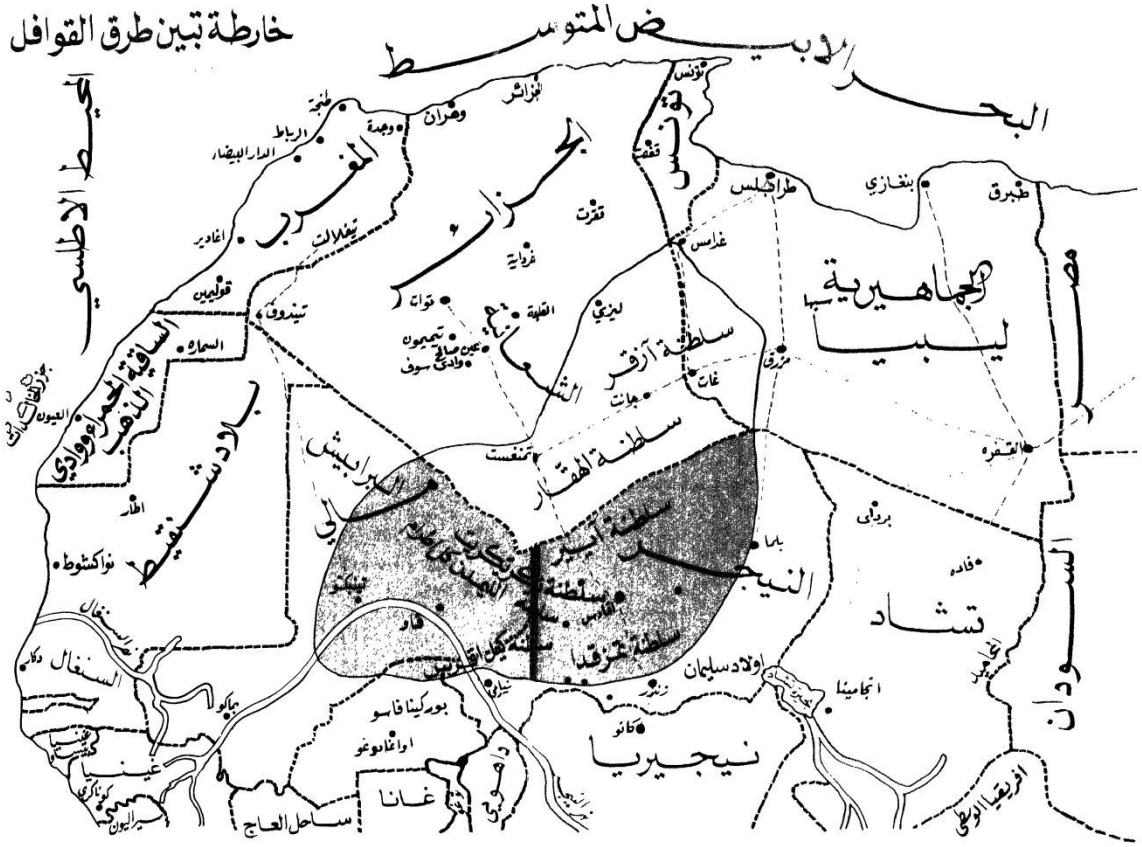

المصدر: محمد سعيد القشاط: الطوارق عرب الصحراء، مرجع سابق، ص 80.

الملحق رقم 04

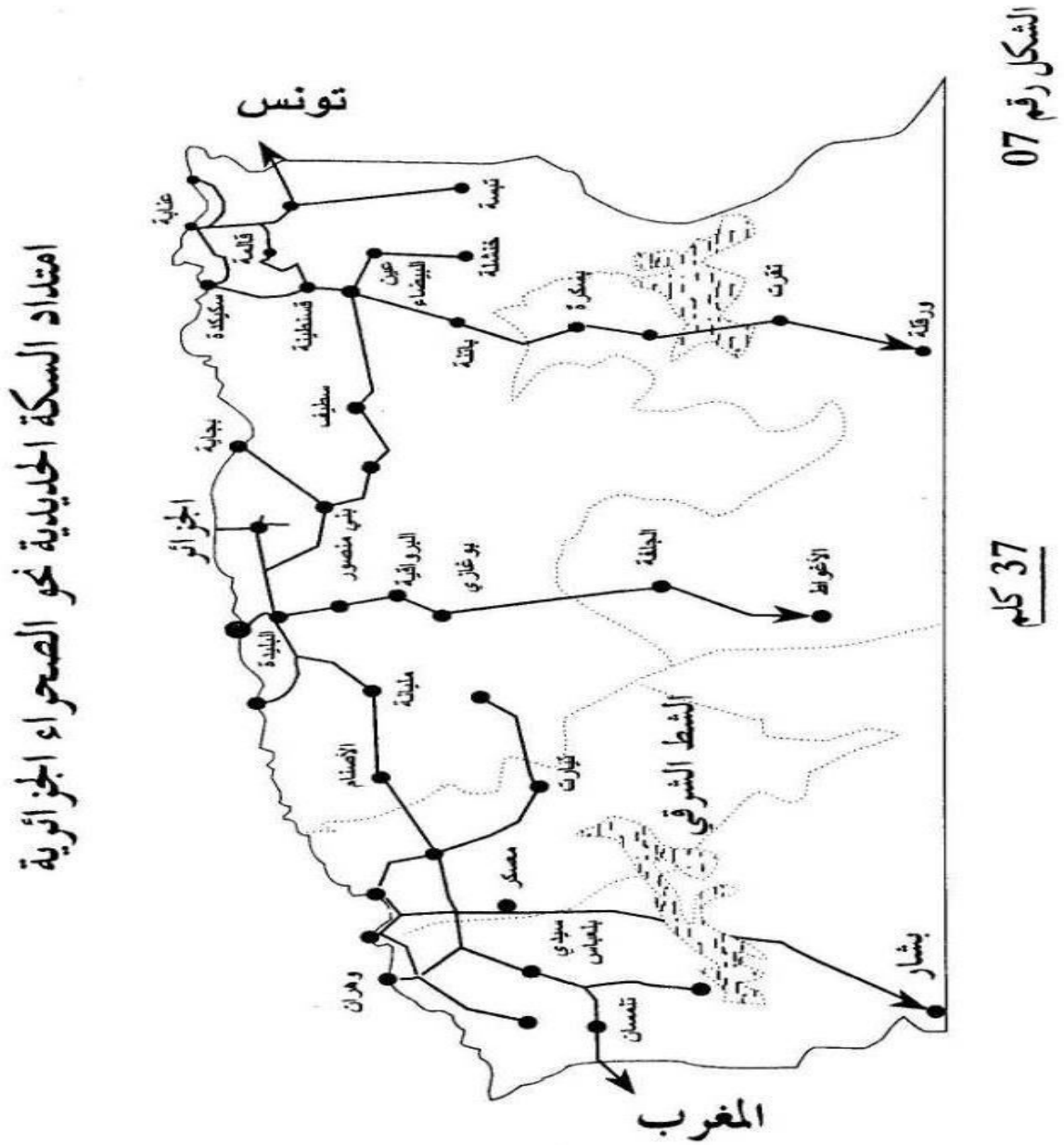

المصدر: أحميدة عميراوي و آخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 156.

قائمة
البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع

- المصادر باللغة العربية:

1- ابن خلدون عبد الرحمن: **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم ذوي السلطان الأكبر**، 7 أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج6، ط3.

3- السعدي عبد الرحمن: **تاريخ السودان**، تح: هوداس ،المدرسة الباريسية للألسنة الشرقية، باريس، 1981م.

4- وزان حسن: **وصف إفريقيا**، تر:محمد الحجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983م، ج1، ط2.

- المصادر باللغة الفرنسية:

1- Duveyrier Henri , **Les Touaregs du Nord**, Challamel Ainé, Libraire- Editeur , Paris, 1864.

- المراجع باللغة العربية:

1- بتقة ابراهيم: **قبائل الطوارق- تاريخ... حلقات مضيئة**، مرايا للنشر والتوزيع، 2011م.

2- بلاح بشير: **تاريخ الجزائر المعاصر(1830- 1989)**، دار المعرفة، الجزائر، 2006م، ج1، د.ط.

3- بوشارب عبد السلام: **الهقار أمجاد وأنجاد**، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م، د.ط.

4- بوعزيز يحيى: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ط2.

5- بوعزيز يحيى: **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر و العشرين**، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ج1، ط2.

6- بوفيل: **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، تر: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغاري، 1988م، ط2.

7- التينبكتي: **الطوارق عائدون للنثور**، منشورات منظمة تامينوت، د.س.

8- حامد محمد خليفة: **يوسف ابن تاشفين، موحد المغرب و قائد المرابطين و منقذ الأندلس من الصلبيين (1009- 1106)**، دار القلم، دمشق، 2003م، ط1.

9- الدراجي بوزياني: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها وأعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ج1، د.ط.

10- الدراجي بوزياني: **القبائل الأمازيغية أدوارها ومواطنها و أعيانها**، دار الكتاب العربي، الجزائر، م2010، ج2، د.ط.

11- دندش عصمت عبد اللطيف: **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038- 1121)**، تح: رسائل أبي بكر ابن العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1.

12- زاهر رياض: **كشف إفريقيا**، دار المعرفة، القاهرة، 1961م، د.ط.

13- شاكر محمود: **مالي**، المكتب الإسلامي، بيروت.1976م،ط2.

14- العربي اسماعيل: **الصحراء الكبرى و شواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، د.ط.

15- عميراوي أحميدة و آخرون: **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844- 1916)**، دار هومة، الجزائر، 2009م، د.ط.

16- عميراوي أحميدة: **موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**، دار الهدى، عين مليلة، 2004م.

17- عميراوي أحميدة: **قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث**، دار الهدى، عين مليلة، 2005م، د.ط.

18- أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)**، دارالغرب الإسلامي، الجزائر،1992م، ج1،ط1.

19- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1500-1830)**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998م، ج1، ط1.

20- أبو القاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)**، دار الغرب الاسلامي، بيرروت، 1998م، ج4، ط1.

21- القشاط محمد سعيد: **صحراء العرب الكبرى**، دار الرواد، ليبيا، 1994م، ط2.

22- القشاط محمد سعيد: **أعلام من الصحراء**، دار الملتقى، بيروت، 1997م، ط1.

23- القشاط محمد سعيد: **الصحراء تشتعل(1899-1931)**، دار الملتقى، 1998م، ط1.

24- القشاط محمد سعيد: **الطوارق عرب الصحراء الكبرى**، مركز دراسات و أبحاث شؤون الصحراء، 1998، ط2.

25- قنان جمال: **قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر**، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994م.

26- المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954م، **فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية**، سلسلة الملتقيات، الجزائر، 1996م.

27- مياسي ابراهيم: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.

28- مياسي ابراهيم: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934)**، دار هومة، الجزائر،2005 م، د.ط.

29- مياسي ابراهيم: **قبسات من تاريخ الجزائر**،دار هومة، الجزائر، 2010م، د. ط.

30- مياسي ابراهيم: **مقاربات في تاريخ الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2012م، د.ط.

- المراجع بالفرنسية:

1- Ferme Albert : **Les Touaregs**, Edition, Littéraires et Artistiques, Paris, 1900.

2- Capitaine Aymard : **Les Touareg**, Hachette, Paris, 1911.

- الموسوعات:

1- العفيفي عبد الحكيم: **الموسوعة 1000 مدينة إسلامية**، مكتبة الإسكندرية، بيروت، 2000م، ط1.

- المقالات:

1- بوعزيز يحيى:" إهتمامات الفرنسيين بالطوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه"، **مجلة الأصالة** ، ع 72، 1979م. ص ص 51- 68.

2- الجيلالي عبد الرحمن:" هؤلاء التوارك الملثمين"، **مجلة الأصالة**، ع 72، 1979م. ص ص 18- 34.

3- الخطيب محمد علي:" بدو الطوارق"، دراسة أنتروبولوجية، **مجلة الدراسات و البحوث**، ع 626، 2015م. ص ص 145- 156.

4- العربي إسماعيل: "الحياة الاقتصادية و الاجتماعية عند طوارق الهقار"، **مجلة الأصالة**، ع72، 1979م. ص ص 36- 50.

5- العيد بشي إبراهيم: " دور سكان الجنوب الشرقي الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي"، **مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، ع 11، الجزائر، 2013م. ص ص 31-44 .

6- الغالي غربي:" ملامح من مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية"، **مجلة الرؤية**، ع1، 1996م. ص ص 97- 105.

7- القبندي عنود:" الطوارق أسطورة تحاكي الصحراء الكبرى"، **مجلة بيئتنا**، الهيئة العامة للبيئة، ع 139، 2011م. ص ص 44- 47.

8- مريوش أحمد:"التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري و ردود فعل سكان الهقار1916"، **مجلة المصادر**، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954م،ع 11، الجزائر، 2005م. ص ص 113- 147.

9- ملاخ عبد الجليل:" قبائل الملثمين الصحراوية و دورها في التمهيد لقيام الدولة المرابطية"، **مجلة الواحات للبحوث و الدراسات**، ع15، 2011م. ص ص 75- 88.

10- نواصر عبد الرحمن:" السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجنوب الجزائري ما بين(1873- 1962) منطقة المنيعة نموذجا"، **مجلة روافد للبحوث و الدراسات**، ع1، 2016م. ص ص 111- 128.

11- هقاري محمد:" دور سكان منطقة أزجر الهقار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى"، **مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية**، ع 24، الجزائر، 2016. ص ص 25- 39.

- **المقالات الالكترونية:**

1- دحو العربي:" **الطوارق، الجذور والتموقع ونظام الحكم**"، 21- 02- 2017، الموقع الرسمي للدكتور العربي دحو. منقول من موقع:www.larbidahou.com

2- المدريدي عزوز:" **تاريخ وآثار الهقار**"، تمنراست، 27-04- 2017، منقول من موقع:

www.khbarbladi.com

- **الجرائد:**

1- أمبدة فرح:" الكفرة... مدينة ليبية تتغذى من الحرب في دارفور"،**جريدة الرياض**،ع 1444، الخرطوم، 6 يناير 2008م.منقول من موقع: www.alriyadh.com

2- هيئة التحرير:"الصحراء الكبرى"، **جريدة المجاهد**، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني،ع 13، 21-01-1959م.

3- يوسف عبد الرحمن:" الطوارق الملثمون الزرق"، **جريدة الأنباء**، ع14736، 2017م. منقول من موقع: www.alanba.com

- **الرسائل الجامعية:**

1- دواس أحسن:" **صورة المجتمع الصحراوي في القرن 19م من خلال كتابات الرحالة الفرنسيين**"، مقاربة سسيو ثقافية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المقارن، جامعة قسنطينة، موسم 2007- 2008م.

2- عباس عبد الله:" **الدور الحضاري لإقليم توات و تأثيراته في بلاد السودان الغربي من القرنين 15 و16م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، كلية العوم الانسانية، جامعة الجزائر، موسم 2000- 2001م.

3- عريق صفاء:" **المشاريع الفرنسية في الصحراء الجزائرية خلال الثورة التحريرية (1954- 1962)**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة بسكرة، موسم 2013-2014م.

فهرس المحتويات

بسملة

شكر و تقدير

إهداء

الملخص

قائمة المختصرات

مقدمة.....1

الفصل الأول: قبائل الطوارق موطنهم و نمط عيشهم.....**6**

المبحث الأول: جغرافية الصحراء الجزائرية و مميزاتها الطبيعية و البشرية.....7

1- التضاريس.....8

2- المناخ.....9

3- السكان.....11

المبحث الثاني: أصل قبائل الطوارق.....14

1- موطنهم و نسبهم.....14

2- تسميتهم بالطوارق و سر اللثام.....19

3- لغتهم و كتابتهم.....21

المبحث الثالث: المظاهر الحضارية عند قبائل الطوارق.....22

1- نظام الحكم الخاص بهم.....22

2- الحياة الإقتصادية عند الطوارق.....25

3- الجانب الإجتماعي في القبيلة الطارقية.....27

الفصل الثاني: توسع الإستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية.....32

المبحث الأول: دوافع الإهتمام الفرنسي بالصحراء.....34

1- الدوافع الإقتصادية.....34

2- الدوافع السياسية و العسكرية.....36

3- الدوافع الدينية.....38
المبحث الثاني: عوامل السيطرة الفرنسية على الصحراء.....41
1- أطماع فرنسا صوب التجارة الصحراوية.....41
2- البعثات الإستكشافية في الصحراء الجزائرية.....46
المبحث الثالث: التوغل الفرنسي في الجنوب الجزائري.....48
1- المشاريع الخاصة بخطوط السكة الحديدية.....48
2- الاستغلال الفرنسي للتجارة الصحراوية.....51
3- تجنيد الحملات العسكرية.....53
الفصل الثالث: رد فعل قبائل الطوارق على التوغل الفرنسي في الصحراء.....56
المبحث الأول: مقاومة قبائل الهقار.....57
1- إخضاع قبائل الهقار.....57
2- معركة تيت.....59
3- عزم فرنسا على التوغل في الصحراء.....61
المبحث الثاني: مقاومة قبائل الطاسلي (جانت).....65
1- إخضاع قبائل الطاسلي (جانت).....65
2- معركة إيسين.....66
3- التحالفات الطارقية في مقاومة المستعمرين.....68
المبحث الثالث: ردود فعل الأهالي.....72
1- استمرار المقاومة أثناء الحرب العالمية الأولى.....72
2- نتائج ردود فعل سكان الهقار.....75
خاتمة.....76
قائمة الملاحق.....80
قائمة الببليوغرافيا.....85